نور التوحيد

يضيء ظلمات الشرك



تأليف
أحمد عبد العزيز

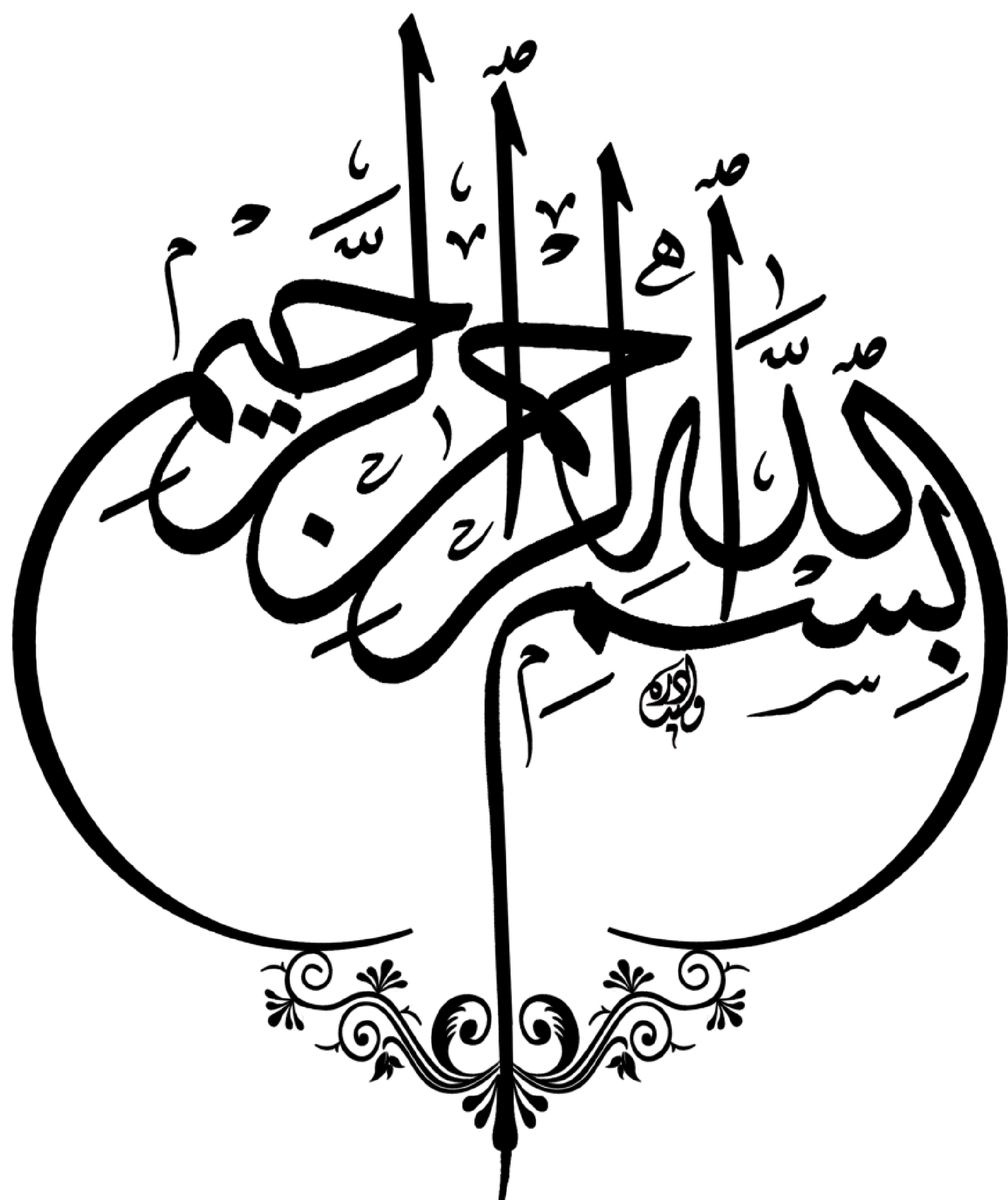
نور التوحيد يضيء عقائد الشرك

إقامة البراهين النقلية والعقلية على أن رسول الله ﷺ لا يعلم ولا يرى ولا يسمع ولا يقدر على كل شيء، مما يمنع الاستغاثة به.

تأليف

أحمد عبدالعزيز

1446هـ – 2025م


بسم الله الرحمن الرحيم

مواضيع الكتاب

- مقدمة
- سبب كتابة البحث وأهميته
- منطلقات الشرك
- إبطال زعمهم أن النبي ﷺ يعلم كل شيء
- إبطال زعمهم أن النبي ﷺ يسمع كل شيء
- إبطال زعمهم أن النبي ﷺ يرى أعمال العباد بعد موته
- إبطال زعمهم أن النبي ﷺ يقدر على كل شيء
- إبطال زعمهم أن ما يثبت للأنبياء عليهم السلام من المعجزات والكرامات ثابت للنبي محمد ﷺ
- إبطال قولهم أن الوسيلة هم أهل البيت أو الأولياء
- توحيد الأنبياء والمرسلين
- إبطال إثباتهم دعاء الأولياء بالقياس بالاستعانة بالصبر والصلاة وبركة قميص يوسف عليه السلام
- إبطال زعمهم أن الخضر عليه السلام ولي وليس نبيا
- إبطال قول القبورية أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع اعتقاد الاستقلال في المعبود
- إبطال زعمهم أن التجربة دلت على أن الأولياء لهم نفع وضر بإذن الله بعد موتهم
- عجائب في تبرير القبورية لأفعالهم
- الفرق بين قبورية الشيعية والصوفية
- هدم قواعد القبورية الشيعة بعرضها على أصولهم
- كيف عالج النبي ﷺ شرك القبورية
- صور منشورات لقبورية والتعليق عليها
- خاتمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران ١٠٢]

إن أحسن الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

يقول تعالى ذكره: **﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ ٢٤]**

إني أقدم هذا الكتاب بالدعوة الطيبة والنية الصادقة إلى من نظن فيهم قصد طلب الحق، ممن خالفونا في المذهب الحق.

ونبين لهم الحق برحمة ولطف، ونحن أرحم الناس بالناس، ولأجل ذلك ندعوهم إلى ما نعلم أن فيه فلاحهم. قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ﴾ [الأنعام ٣٦]**والسماع يراد به سماع مع قلب مستعد لقبول الحق، ولو خالف ما تربى عليه وقلده.

ولعلي أوفق أن أساعد طالب الحق أن يصل إلى ذلك فيما يتعلق بموضوع الكتاب، بالحجة والصدق في النصيحة والرحمة به ومحبة الخير لي وله.

وأدعو من يقرأ هذه الكلمات وتلك البراهين أن يستعين بالله فيطلب منه الهداية، فهو ولي ذلك وهو القادر عليه.

سبب كتابة البحث وأهميته:

قد ظهر في التاريخ البشري أنواع كثيرة من الشرك، فمن الناس من أشرك بالله في الربوبية كما كان حال فرعون إذ قال: ﴿**أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ**﴾ [النازعات ٢٤] والنمرود حينما قال: ﴿**أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ**﴾ [البقرة ٢٥٨]، ومنهم من أشرك بالله في العبادة، وهذا هو الغالب في الأقوام السابقة فكانوا يثبتون ربا خالقا لكل شيء ثم يعبدون غيره، قال تعالى: ﴿**قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠**﴾ **[المؤمنون ٨٤-٩٠]**

لذا، ومع اعتقادهم بوجود خالق، إلا أنهم أشركوا به، قال تعالى في وصف حالهم: ﴿**وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ**﴾ **[يوسف ١٠٦].**

واليوم نجد بعض المنتسبين إلى الإسلام يقع في شرك الربوبية أو شرك العبادة أو كليهما.

ويسمى هؤلاء بالقبورية لغلوهم وتعلقهم بأهل القبور ، ووصفهم بما لا يجوز إلا لله تعالى.

ومن المعلوم أن قضية الوحي الأولى هي إثبات وترسيخ التوحيد ونفي الشرك ومحاربته، حتى أصبحت هذه أظهر مسألة بالوحي الشريف، إلا

أن الشيطان سعى في إخفاء حقيقة التوحيد والشرك عن كثير ممن ينتسب للدين، وأهمية هذا البحث تظهر في أنه يتكلم عن القضية الأولى في القرآن والدعوة الأولى للرسل، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ**﴾ **[النحل ٣٦]**، والطاغوت هو كل من يُعبد من دون الله.

والشرك هو المعصية التي لا تُغفر كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا**﴾ **[النساء ٤٨]**

* * *

منطلقات الشرك

إن بواقع النظر لحال هؤلاء قديما وحديثا، فإن لهم منطلقات وهذه المنطلقات سنهدمها بالحجة القاطعة لإخراج هؤلاء من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد بأدلة وبراهين منقطعة النظير.

ولكن قبل ذلك سأذكر هذه المنطلقات التي وقع بموجبها الكثير من الشيعة الإثنى عشرية والاسماعيلية وغيرهم من فرق التشيع الكبرى، وأيضاً غلاة المتصوفة وممن تعلقت قلوبهم بالقبور بشكل عام. فسأذكر المنطلقات المشتركة عند هؤلاء والتي بعضها ظاهر وبعضها خفي، ثم أبدأ بهدمها تباعا إن شاء الله تعالى.

المنطلق الأول للشرك: ظنهم أن الشهيد حي في قبره كما هو حي في حياته، واحتجوا بقوله تعالى: **﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة ١٥٤]**

المنطلق الثاني: ظنهم أن كل ما ثبت للأنبياء فهو ثابت للرسول ﷺ، كما في كتب الشيعة عن أبي عبد الله ع قال: (إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يعطِ الأنبياء شيئاً إلاَّ وقد أعطاه محمّداً (صلَّى الله عليه وآله) قال: (وقد أُعطى محمّداً ص جميع ما أعطى الأنبياء ع)[1]، واحتجوا بحجة عقلية **قالوا فيها:** لو أن محمدا خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضلهم، فهل يعقل أن يبرئ عيسى الأكمة والأبرص ولا يفعل النبي محمد ﷺ؟

(1) الكافي ج1 ص 225

ثم من قولهم: كان قميص يوسف سببا في الشفاء، فكيف لا يكون النبي محمد ﷺ سبباً في الشفاء؟

ثم أثبتوا للأولياء ما أثبتوه للأنبياء وهنا تختلف المنطلقات، فمنطلق الشيعة مبني على أن أولياءهم خير من كل الأنبياء إلا النبي ﷺ ، وأما الصوفية فقد احتجوا بأن الخضر كان أعلم من موسى عليه السلام، مع أن موسى نبي، أما الخضرعندهم فكان وليا.

المنطلق الثالث: ظنهم أن الخضر ولي وليس نبيا ، ولا حجة لهم على هذا إلا الظنون والأوهام، وسيأتي بيانه إن شاء الله. ومن هذا المنطلق نسبوا للأولياء ما لم ينسبوه للأنبياء من قدرة وعلم وغير ذلك.

المنطلق الرابع: ظنهم أن الولي في قبره يسمع كل شيء ، وهذا لأنهم أحياء عندهم، وقد ثبت في السنة الصحيحة أن النبي ﷺ قال عن موتى بدر من كفار قريش: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " [1]

واحتجوا بأن النبي ﷺ تبلغه صلاة من يصل عليه كما قال ﷺ: وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتَكُم تبلغُني حَيثُ كنتُمْ"[2]

ومن ذلك أن الميت يسمع، لقوله ﷺ: وإنه ليسمع قرع نعالهم.[3]

ومن هذه النصوص زعموا أن الميت يسمع كل شيء ، مع أن هذه النصوص تدل على خلاف زعمهم كما سيأتي بيانه.

---

(1) متفق عليه
(2) أخرجه أبو داود (2042) واللفظ له، وأحمد (8790)
(3) متفق عليه

المنطلق الخامس: ظنهم أن الثابت للنبي ﷺ في حياته ثابت له بعد مماته.

المنطلق السادس: ظنهم أن الوسيلة التي أمر الله تعالى بها، هم أهل البيت أو الأولياء.

المنطلق السابع: ظنهم أن جواز التوسل بالعمل الصالح في الدعاء يجيز لنا التوسل بالنبي ﷺ والأولياء من باب أولى، لأنهم أكرم عند الله من عملنا الصالح، ونظيره وجود الاستعانة بالصبر والصلاة في الشرع، كما في قوله تعالى: ﴿**وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ**﴾ **[البقرة ٤٥]، قالوا**: الأولياء خير من الصبر والصلاة، ومن هنا أجازوا الاستعانة بهم.

وحقيقة الأمر أنهم لم يفهموا الاستعانة ولم يفهموا الفرق بين الاستغاثة والوسيلة، كما سيأتي.

المنطلق الثامن: زعمهم أن الشرك يحدث عند ظن الاستقلال فقط، فلا يشرك من وصف العباد بصفات الإله، لأنهم اتصفوا بها بإذن الله ، وليست استقلالا عن الله، وكلهم ناقضوا هذا المنطلق، ولا يمكنهم الالتزام بلوازمه، مما يدل على فساده كما سيأتي.

المنطلق التاسع: ظنهم أن أي مقام ثابت للأولياء من سماع النداء واستجابة الدعاء، هو ثابت للنبي محمد ﷺ، ومن هذا المنطلق سأبرز أن النبي ﷺ والأنبياء والأولياء، لم يثبت في حقهم لا علم ولا سمع ولا قدرة مطلقة بل ثبت خلاف ذلك.

المنطلق العاشر: اختراعهم الروايات التي تثبت ما زعموه من تأثير الأولياء وسماعهم لكل شيء وقدرتهم الخارقة على فعل المعجزات بعد موتهم.

وقد بوب كبير علماء الشيعة الكليني بابا كاملا في الكافي بعنوان: باب أن الأئمة يعلمون ماكان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء في السماوات والأرض

من ذلك الرواية الثابتة عند الشيعة عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سُئل علي عليه السلام عن علم النبي صلى الله عليه وآله فقال علم النبي علم جميع النبيين وعلم ما كان وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة" [1]

وفي دعاء الزيارة المشهور فيه: "بكم يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبكم ينزّل الغيث، وبكم يُمسك السماء والأرض أن تزولا، وبكم يُكشف البلاء..."[2]

هذه الزيارة مشهورة وعليها إجماع من علماء الشيعة بصحتها والعمل بها.

المنطلق الحادي عشر: زعمهم أنهم جربوا دعاء أهل القبور واستجيب لهم، والعجيب أن هذه الدعوى يقولها الشيعة بكافة طوائفهم التي كل منها تكفر الأخرى، ويقولها الصوفية حتى قالوا عن بعض الأضرحة التي يسكنها أولياء لهم: (الترياق المجرب) وهم يضللون الشيعة والشيعة

(1) بصائر الدرجات ص 147

(2) تهذيب الأحكام للطوسي، ج6 ص 98 / مصباح المتهجد

تكفرهم ، والأعجب أن النصارى زعموا ذلك فيما يتعلق باستغاثتهم بالصليب، وأن الاستغاثة به ورسمهم له ينفعهم ، وغير ذلك.

وهذا المنطلق يرد على نفسه بنفسه كما هو ظاهر، إلا أني سأفصله في موضعه وأبين لماذا يتوهم كل هؤلاء أن أهل القبور استجابوا لمسألتهم.

المنطلق الثاني عشر: جهلهم بتوحيد العبادة وظنهم أن غاية التوحيد أن تعتقد أن الله خالق كل شيء ومليكه، وجهلهم بمعنى الشرك.

وهذا من فعل الشيطان بهم، وقد فعله قبلهم مع النصارى، فهم مشركون ولو سألتهم سيقولوا أنهم على التوحيد الخالص، ولذلك فإن من قانون الإيمان عندهم إيمانهم بالإله الواحد، وهكذا كل أمة يعجز الشيطان أن يجعلها تصرح بالشرك، سعى أن يجعلها تجهل معنى الشرك. وهكذا فعل مع عبدة الأضرحة ، وسيأتي.

المنطلق الثالث عشر: غلوهم الشديد في الأولياء ، ومن ذلك قول الرافضة كما ذكر المجلسي في دعاء الزيارة لعلي: الذي من آمن به أمن السلام على نفس الله ثم فيه: فكن بنا رحيما يا أمير المؤمنين". [1]

المنطلق الرابع عشر: تعطيلهم للصفات ونفيها عن الله، وقلوب المعباد تتعلق بالموجود لا المعدوم، وقد وصفوا الله بالنفي لا بالصفات الثبوتية التي تتعلق القلوب بها.

ثم لما نفوا الصفات عن الله تعالى، وصفوا بهذه الصفات الأنبياء والأولياء، وتعلقت قلوبهم بهم.

---

(1) بحار للأنوار ج97 ص331

وهناك منطلقات خفية لا يعترف هؤلاء بها إلا أني أذكرها للتنبيه، وإلا فالبحث موضوعه الرئيسي هدم منطلقاتهم الرئيسية التي اتفقوا عليها وصرحوا في كل مجالسهم بها.

ومن منطلقاتهم الخفية: تعلق مشايخهم بالسحر والسحرة، وما يسمى بعالم الأرواح ، وقد وجدت تعلق العامة من القبورية بهؤلاء الدجالين .

فيظن هؤلاء أن تأثير الروح خارج الجسد أعظم من تأثيرها داخل الجسد.
وقد وصل الاسترسال مع هذا عند أحدهم أن قال لي أحدهم: إن الولي يسمع كل شيء بعد الموت ، أما في حياته فلا ، وكذلك الحال مع قدرة الولي، وربط هذا الهذيان الذي لم يشتهر عن علماء الشيعة، ربطه بالمجردات المتعلقة بعالم الأرواح على حد زعمه.

مطالب وقواعد:

المطلب الأول: إثبات أن النبي ﷺ لا يثبت في حقه ما أثبته هؤلاء في حقه، ولا يثبت في حق غيره من الأولياء من باب الأولى.

المطلب الثاني : لو ثبت عدم علم أو قدرة أو سمع النبي ﷺ لبعض الأشياء، نتيقن حينها عدم جواز الاستغاثة به ، لأن هذا فرع من كونه يسمع المستغيث، وعن قدرته في مساعدته، فإذا انتفى الأصل بطل الفرع.

المطلب الثالث: بيان أن هناك عقائد وأفعال تعد من شرك العبادة قد بينها شرعنا الحنيف، وإن لم يعتقد المشرك استقلالا من يعبده بأي فعل.

القاعدة الأولى: لا يحق للشيعي أن يحتج بأي رواية في كتبه تؤيد مزاعمه لو خالفت القرآن، وهذا لأن المتواتر عندهم رد أي رواية تخالف القرآن، وهذا أمر لا يحتاج للاحتجاج فأطفال الشيعة على علم به.

فقد ثبت عن أئمتهم المعصومين وجوب عرض الرواية على القرآن ، فإن خالفت القرآن يضرب بها عرض الحائط.

القاعدة الثانية: الكلية الموجبة تنقض بالجزئية السالبة: فإن ثبت أن النبي ﷺ لم يسمع أو يقدر على شيء واحد، دل هذا على أنه لا يقدر على كل شيء بإذن الله. بل يقدر على بعض الأمور فقط، وهذا يترتب عليه لوازم سيأتي بيانها.

القاعدة الثالثة: الحق يعرف بالوحي أولا ، لقوله تعالى: **﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى ١٠]**

وقد سمى الله تعالى القرآن هدى وبينات من الهدى وسماه الفرقان، وهو كلامه عز وجل، مما يدل على أن حجة القرآن مقدمة على أي حجة، ومقدمة خاصة على أهواء هؤلاء.

والقرآن منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وبهذه الآيات نبين الحق من الباطل بما يقطع كل وساوس الشيطان بحوله تعالى.

* * *

الأدلة النقلية والعقلية والواقعية على فساد منطلقات الشرك

إبطال زعمهم أن النبي ﷺ يعلم كل شيء وبيان دلالته على إبطال مذهبهم

يعتقد الشيعة أن النبي ﷺ وأهل بيته يعلمون كل شيء ، وأما قبورية الصوفية فظنوا أن النبي ﷺ والأولياء منهم من يعلم كل شيء.

وقد بوب الكليني بابا كاملا في الكافي بعنوان: «باب أن الأئمة يعلمون ماكان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء في السماوات والأرض»

وأما أهل التوحيد فنعتقد أن النبي ﷺ يعلم بعض الأمور لا كلها، ولم يعلم كل الغيب النسبي بل بعضه، وعرفه بالوحي، وغير النبي ﷺ من الأولياء أقل علما من باب أولى.

الدليل الأول: قوله تعالى: **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة ١٠١]**

الرسول ﷺ لم يكن يعلم من حوله من المنافقين، فكيف يقال أنه يعرف كل شيء إلى يوم القيامة؟ أو يعلم ما في نفس المستغيث به ، هل يفعل هذا بإخلاص أم باستهتار ، أو هل يستغيث به وهو يظن فيه الاستقلال أم لا ؟ فهل يعقل أن يجيبهم النبي ﷺ أو الأولياء رغم عدم علمهم بما في قلوبهم؟ ولو أن النبي ﷺ يعلم ما في القلوب لما خفي عليه أهل النفاق، خاصة وهم حوله في المدينة!

وفي هذا النص رد على زعم القبورية علم النبي ﷺ بالغيب النسبي كله ، والغيب النسبي هو ما يعرفه بعض المخلوقات دون البعض ، والآية

تؤكد أن أهل النفاق لم يكن النبي ﷺ يعلمهم كلهم ، رغم أن هذا من الغيب النسبي الذي يعرفه البعض ، فالمنافق كان يعلم بأنه منافق وكذلك يعلم كثير من أصحابه المنافقين.

الدليل الثاني: قال تعالى:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود ٤٩]

الله تعالى يخبر نبيه أن هذا الوحي **لم يكن عالما به** وتلك الأخبار الموجودة بسورة هود وفيها قصص نوح ويونس وصالح وهود وموسى وقومهم، لم يكن رسولنا يعلمها **قبل نزول هذا الوحي.**

فهذا يدل على أن النبي ﷺ **لم** يرث **علم كل ما كان** ، بل عرف بعض ما كان فقط عن طريق الوحي ، وقد عاش أكثر من أربعين سنة قبل نزول هذه الآية.

ولا يمكن أن يقال: أن نفي العلم هنا يراد به أن النبي ﷺ لا يعلم هذا بنفسه، بل كان يعلم تلك الأخبار بإذن الله من قبل نزول الآية بل منذ ولادته، كما يزعم الرافضة .

فيقال: الآية نفسها ترد على هذا الطرح الذي يبرر الشرك ، فقد قال تعالى: **﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ ﴾** والواضح من الآية أنهم لم يعلموا تلك الأنباء قبل مجيء هذه السورة، إلا أنهم عرفوها بعد هذا! فلا يمكن أن يكون المقصود أنك لم تعلمها استقلالا قبل نزول الآية، وإلا سيكون **علمها استقلالا بعد نزولها**، وهذا شرك بالاتفاق.

فإن الآية جمعت بين نفي وإثبات للعلم، النفي قبل نزول السورة، وإثباته بعد نزولها.

فلا يقال أن المقصود العلم بالاستقلال ، لأن هذا لا يثبت للنبي ﷺ لا قبل نزول السورة ولا بعد نزولها.

الدليل الثالث: قال تعالى: **﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء ١٦٤]**

أي أنه ﷺ لم يكن يعلم بعض قصص الرسل الذين أرسلوا قبله، إلا أنه علم دعوة الرسل بشكل عام. والقصد أنه لم يؤتى علم جميع الخلائق ، ولا علم ما كان، **حتى ما كان في حق إخوته من الرسل.**

الدليل الرابع: قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم ٣]**

زوجة النبي ﷺ كانت تسأله من أخبرك بذلك السر؟ فقال لها عرفته بالوحي.

لم يقل عرفته بالوراثة التي يسميها الشيعة وراثة العلم!

ثانياً: زوجته كانت تعلم أن النبي ﷺ لا يعرف كل شيء ، لذلك استغربت من معرفته لتلك المعلومة .. ولو كانت تعلم أنه يعلم كل شيء لما كانت ستسأله « من أنبأك هذا؟ ».

الدليل الخامس: قال تعالى: **﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف ١٨٨]**

النبي الكريمﷺ يقر ويقول أنه لا يعلم الغيب ، ثم ذكر دليلا عقليا على هذا ، فقال لو أعلم الغيب لماذا يصيبني السوء ؟!

لماذا مثلا يموت مسموما لو يعلم المستقبل كله.

لماذا سيذهب يدعو إنسانا معاندا

لماذا يطمع أن يتوب إنسان هو يعرف أنه لن يتب!

لماذا بكى كما ورد عند السنة وكما يقول الشيعة عندما عرف كيف سيموت الحسين ، ولم يبكي قبلها ؟ **لأنه ببساطة لم يكن على علم بذلك قبلها** .

وهذا النص فيه رد على من يقول من القبورية أن النبي ﷺ لا يعلم علم الغيب المطلق لكنه يعلم الغيب النسبي ، فإن الآية عامة تشمل الغيب المطلق والنسبي ولا قرينة للتخصيص، **وأيضاً:** لأن المستقبل الشخصي هو من الغيب النسبي عند الشيعة الذي يعلمه النبي ﷺ كله.

أما أهل التوحيد فيعتقدون أن النبي ﷺ وعامة الأنبياء عندهم علم ببعض الغيب النسبي وليس كله.

الدليل السادس: قال تعالى: **﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠﴾ [محمد ٢٩-٣٠]**

الله تعالى يخبر نبيه ﷺ أنه سيعرف المنافقين من لحن أقوالهم، وليس عن طريق العلم اللدني كما يقول الصوفية ولا عن طريق وراثة العلم كما زعم الرافضة، ولا الاطلاع على ما في القلوب، والقصد أنه لم يكن يعلم علم كل شيء كما زعمت الرافضة وغيرهم من القبورية، بل ولا حتى يعلم كل المنافقين من حوله، بل بعضهم لم يعرفهم حتى بالوحي في مرحلة من مراحل وجودهم.

الدليل السابع: قال تعالى: ﴿**عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ**﴾ **[التوبة ٤٣]**

الله تعالى يعاتب نبيه أنه أذن لكل من أعطاه عذر ليترك غزوة تبوك ، لكن ما سبب العتاب؟ السبب أنه كان من الأفضل أن يمتحن النبي ﷺ صدق أعذارهم أولا لكي يتأكد صادقين هم أم لا.

يعني أن الرسول ﷺ لم يكن متبينا من هذا، ولو كان يعلم علم ما كان وما يكون كما زعمت روايات الرافضة المخترعة، لما غابت عنه هذه المعلومة!

ثانياً : قوله تعالى:(وتعلم الكاذبين) دليل أن النبي ﷺ لم يكن يعرفهم كلهم ولذلك كان الأفضل ألا يأذن لهم قبل أن يمتحنهم.

الدليل الثامن:

قال تعالى: ﴿**فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ**﴾ **[آل عمران ١٥٩]**

لو كان النبي ﷺ يعلم كل شيء ، لما احتاج إلى المشورة أصلا، ولو كان يعلم ما كان وما يكون لكان عازما على قراراته بدون مشورة.

الدليل التاسع: قال تعالى: **﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[الأحقاف ٩]**

أي أنه لا يعلم المستقبل لا مستقبله ولا مستقبلهم.

نعم" كان يعلم بعض المستقبل عن طريق الوحي، لكنه لم يكن يعلمه كله، ولا يعلم تفاصيل ودقائق المستقبل.

الدليل العاشر: قوله تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة ٢١٤]**

وقول الرسول ومن معه، وكان منهم أهل البيت، قولهم: " متى نصر الله؟ "، **دل على عدم علمهم بالمستقبل القريب،** فكيف يظن هؤلاء الرافضة أن النبي ﷺ يعلم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة!

الدليل الحادي عشر: قوله تعالى: **﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام ٥٠]**

الدليل الثاني عشر: قوله تعالى: **﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ ٥٠]**

فإن النبي ﷺ إنما اهتدى بالوحي وليس بوراثة العلم عند لحظة الولادة! كما زعمت الشيعة.

الدليل الثالث عشر: في الحديث عن النبي ﷺ قال: أنا فرَطُكم على الحوضِ وليختلجنَّ رجالٌ دوني فأقولُ : يا ربِّ أصحابي فيقال : إنك لا تدْري ما أحدَثوا بعدكَ."

فقوله للنبي ﷺ: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، دال دلالة واضحة على عدم علمه بكل شيء.

وهذا الحديث له ألفاظ متعددة إلا أني ذكرت اللفظ الذي يتفق عليه جميع الرافضة ويحفظه صغارهم وكبارهم ليكون أوقع على قلوبهم.

وهذا الحال لا ينطبق على النبي ﷺ وحده، بل على كل الخلق الذين كرمهم الله تعالى من الملائكة والأنبياء وهذا معلوم من الدين بالضرورة أصلا، وهؤلاء القبورية خالفوا هذا الأمر الواضح.

الدليل الرابع عشر: قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٣٢**﴾ **[البقرة ٣٠-٣٢]**

فهذا خطاب يتعلق بالملائكة وهم ذو المكانة العالية، والشيطان لما أطمع آدم عليه السلام ليأكل من الشجرة قال لهم: ﴿**مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ**﴾ **[الأعراف ٢٠]**

ومع هذا لم يعلم الملائكة كل شيء ولا علموا الأسماء كلها التي تعلمها آدم عليه السلام.

الدليل الخامس عشر: قوله تعالى في قصة آدم عليه السلام : ﴿**وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١**﴾ **[الأعراف ٢٠-٢١]**

فلولا عدم علم آدم عليه السلام بكل شيء، لما ظن الصدق في قسم الشيطان له.

الدليل السادس عشر: قوله تعالى عن قصة نوح عليه السلام: ﴿**قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ۝١١١ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١١٢ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ**﴾

قد زعم الكفار أن من آمن مع نوح عليه السلام إنما يفعل الخبائث في الباطن، أو نيتهم سيئة في الباطن.

فرد عليهم بأنه لا يعلم الباطن وليس له إلا ظاهر فعلهم.

قال الإمام الطبري: " قال نوح لقومه: وما علمي بما كان أتباعي يعملون، إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، ولم أكَلَّفْ علم باطنهم، وإنما كلّفت الظاهر، فمن أظهر حسنا ظننت به حسنا، ومن أظهر سيئا ظننت به سيئا. يقول: إن حساب باطن أمرهم الذي خفي عني إلا على ربي لو تشعرون، فإنه يعلم سرّ أمرهم وعلانيته ".

وفي تفسير الشيعة كتاب الميزان: قوله تعالى: «قالَ وَ ما عِلْمِي بِما كانُوا يَعْمَلُونَ» الضمير لنوح (ع)، و «ما» استفهامية و قيل: نافية و عليه

فالخبر محذوف لدلالة السياق عليه، و المراد على أي حال نفي علمه بأعمالهم قبل إيمانهم به لمكان قوله: «كانُوا يَعْمَلُونَ».

فتبين من هذا أن نوح عليه السلام وهو من كبار الأنبياء، لم يكن يعلم ما في باطن الناس وهم أتباعه.

الدليل السابع عشر: ذكره تعالى لقصة إبراهيم، قال تعالى: **﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ [الذاريات ٢٤-٢٨]**

ولولا عدم علم نبي الله إبراهيم بهم لما خافهم ولما أوجس منهم خيفة.

الدليل الثامن عشر: ما وقع مع نبي الله لوط عليه السلام، قال تعالى: **﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت ٣٣]**

فقد ضاق وخاف لوط عليه السلام لعدم معرفته أنهم ملائكة، ولذلك طمأنوه.

الدليل التاسع عشر: قوله تعالى: **﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف ١٣]**

ولو كان نبي الله يعقوب يعلم الغيب النسبي لعرف مكائدهم، ولعرف نواياهم ، ولما خاف أن يأكله الذئب ولخاف منهم.

ويعقوب عليه السلام نبي من أنبياء الله ، وهو عند الشيعة إمام زمانه، ومع هذا لم يسمع خطتهم ولا علم بها، إلا بعدما آذوا يوسف عليه السلام.

الدليل العشرون: قوله تعالى: **﴿قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِى وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾ [الكهف ٧٨]**

وهذه قصة نبي الله الخضر الشهيرة مع نبي الله موسى، ولم يكن يعلم موسى عليه السلام ما عرفه الخضر عليه السلام ، مع أن موسى إمام زمانه عند الرافضة.

الدليل الحادي والعشرون: قوله تعالى: **﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل ٢٠-٢٢]**

فلم يعلم سليمان عليه السلام ما علمه الهدهد.

وهكذا الوحي يبين دائماً ما نعتقده نحن، من أن النبي قد يعلم ما لا يعلمه نبي آخر، ويعلم كل منهم ما لا يعلمه الآخر.

الدليل الثاني والعشرون: قوله تعالى: **﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَـٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَـٰهَا سُلَيۡمَـٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمًا وَعِلۡمًاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء ٧٨-٧٩]**

فقد عرف سليمان ما لم يعلمه داود عليه السلام ، مع أن داود كان إمام الزمان وقتها حسب المذهب الرافضي.

والأدلة في هذا الباب كثيرة جدا منها أن يونس عليه السلام ترك قومه لظنه عدم إيمانهم، وقد آمنوا جميعاً.

الدليل الثالث والعشرون: قال تعالى في قصة يونس عليه السلام: ﴿**وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ**﴾ **[الأنبياء ٨٧]**

فظن يونس أن الله تعالى لن يقدر عليه (بمعنى لن يضيق عليه)

والقصة معلومة فقد بعثه الله لأكثر من مائة ألف، ولم يتب منهم أحد، فظن أن العقوبة ستاتيهم، ولم يأمره الله بتركهم، إلا أنه تركهم.

وهذا يدل على عدم علمه بكل شيء من جهتين، الأولى أنه ظن أن لن يضيق عليه، وقد غلط ظنه عندما وقع في بطن الحوت، والثاني ظنه عدم إيمان قومه، إلا أنهم قد آمنوا كما نص الوحي الشريف. قال تعالى: ﴿**فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَـٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٍ**﴾ **[يونس ٩٨].**

الدليل الرابع والعشرون: قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ**﴾ **[سبأ ١٤]**

فقد كان صغار الجن على الظن أن كبارهم يعلمون الغيب، وقد بين الله تعالى لهم غير هذا فلو كانوا يعلمون الغيب ما استمروا على طاعة نبي الله سليمان وهو ميت.

ومن قرأ القرآن بتدبر لمرة واحدة يعلم بيقين صحة ما نقول.

الأدلة العقلية والواقعية أن النبي ﷺ لا يعلم كل شيء:

الدليل الأول: لو كان النبي ﷺ يعلم كل شيء وورثه أهل البيت لأخبرنا القرآن بذلك لأهمية المسألة واحتياج كل الخلق لمعرفتها.

الدليل الثاني: لو أنه يعلم ما يكون لكان علمه كعلم الإله لأنه الوحيد الذي يعلم كل شيء.

الدليل الثالث: لو كان يعلم كل شيء لظهر ذلك في نبوءاته الموجودة في كتب الرافضة، إلا أن الظاهر من كتبهم غير هذا.

الدليل الرابع: لو كان يعلم كل شيء لما مسه السوء كما ذكر هو بنفسه في القرآن.

الدليل الخامس: جهل من زعموا فيهم العلم بكل شيء، فقد افتروا زورا أن النبي ﷺ قال:« إن في ابن آدم ثلاثمائة وستين عرقا منها مائة وثمانون متحركة ومنها مائة وثمانون ساكنة فلو سكن المتحرك لم ينم ولو تحرك الساكن لم ينم»[1]

وهذه الرواية وثقها المجلسي، ومن المعلوم وبأدنى بحث أن عدد العروق علمياً أعلى بكثير، وفي فروع الكافي عن أبي عبد الله قال: «لأن الولد من البيضة اليسرى»[2] فقد ظن معصومهم أن الولد من الخصية اليسرى للرجل، وهذا لا علاقة له بالعلم الحديث.

(1) بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج 58 – الصفحة 316

(2) الكافي ج14 ص394

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه ، وهو الكتاب الموجود في كل بيت شيعي ، أن عليا قال: «إن الله تبارك وتعالى خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى، وأضلاع الرجال تنقص وأضلاع النساء تمام»[1]

وهذا الكلام غير ثابت علميا بل أجمع علماء التشريح حديثا على غلطه، وهكذا ثبت عدم علم أئمتهم بكثير من الأمور.

الوقائع: دلت الوقائع من السيرة أن النبي ﷺ لم يكن يعلم تفاصيل كل شيء ، من ذلك إرساله حذيفة في غزوة الأحزاب السياسية لجيش الكافرين ليعلم هل قرروا الاستمرار في الحرب أم الفرار، فقال له ﷺ: اذهب فأتني بخبر القوم". [2]

ومنها إرساله لبعض الصحابة إلى بني قريظة ليعلم هل نقضوا العهد أم لا، ثم أخبرهم لو أن بني قريظة نقضوا العهد **أن يخبروه عن طريق الإشارة** حتى لا يتشتت الناس، لكن القصد هنا أنه لم يعلم هل نقضوا العهد أم لا حتى أخبره من أرسلهم من الصحابة بذلك.

وهذا المعنى امتلأت به كتب السيرة عند الفرق كلها، إلا أن القبورية كما ناقضوا القرآن ناقضوا الثابت من سيرة النبي ﷺ.

حل إشكال: يشكل القبورية هنا بذكر بعض الوقائع التي يعلمها النبي ﷺ عن طريق الوحي.

---

(1) من لا يحضره الفقيه ج4 ص328

(2) صحيح مسلم

الصفحة أو الرقم: 1788

التخريج : أخرجه ابن حبان (7125)، والبيهقي (18486) كلاهما بنحوه، وأحمد (23334) بنحوه مطولا

فنقول لهم: نحن نؤمن أن النبي ﷺ علم أمورا كثيرة عن طريق الوحي، لكن خلافنا معكم في أنه يعلم كل شيء أو يعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة أو حتى يعلم الغيب النسبي كله أو يعلم ما في قلوب الناس أم لا.

والثابت من النصوص أنه يعلم القليل من هذا عن طريق الوحي، وليس معنى أنه يعلم شيء ، أنه يعلم كل شيء! فهناك فرق شاسع بين هذا وذاك فتنبه.

حل إشكال: احتجوا بقوله تعالى: ﴿**وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ**﴾ **[التوبة ١٠٥]**

زعموا أن هذا النص دال على أن النبي ﷺ والمؤمنين يرون أعمالنا كلها، والرد على هذا وقلب الدليل عليهم **من عدة أوجه**

الأول: النص صريح أن النبي ﷺ يرى والمؤمنين يرون الأعمال الظاهرة فقط، وليست كلها، بل التي تتعلق قدرتهم بها.

قال الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وقل﴾ ، يا محمد، لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك = ﴿اعملوا﴾ ، لله بما يرضيه، من طاعته، وأداء فرائضه = ﴿فسيرى الله عملكم ورسوله﴾ ، يقول: فسيرى الله إن عملتم عملكم، ويراه رسوله والمؤمنون، في الدنيا = ﴿وستردون﴾ ، يوم القيامة، إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها".

الثاني: قد يكون أن الأعمال تعرض عليهم يوم القيامة وهو نوع عقوبة بنزع الستر عنهم، ثم وحده الله تعالى من يحاسبهم على أعمالهم، وهذا التفسير بعيد، إلا أن تفسير القبورية للآية أبعد.

الثالث: النص صريح أنهم لا علم لهم بالأعمال الباطنة، إلا الله وحده لأنه يعلم الغيب والشهادة كما نصت الآية، وهذا القول لا يعتقد به القبورية.

الرابع: لفظ المؤمنين لفظ يشمل كل المؤمنين مجتمعين، ومن العلم الضروري أن ما من مؤمن الآن تعرض عليه الأعمال كلها الظاهرة والباطنة، لكنهم بمجموعهم يرون الأعمال الظاهرة فقط.

والقصد هنا أن النص القرآني الوحيد الذي اعتمدوا عليه هو ظاهر في خلاف مذهبهم، ولله الحمد.

الاستنتاجات:

الاستنتاج الأول: كذب روايات الرافضة لأنها تخالف القرآن بوضوح، وهذا يبرز كثرة الكذب في مروياتهم.

الاستنتاج الثاني: عدم الوثوق في علماء الرافضة الذين اتفقوا على تصحيح تلك الروايات الشركية المناقضة للوحي

الاستنتاج الثالث: عدم جواز دعاء أهل القبور فخيرهم وأفضلهم هو النبي ﷺ ومع هذا لا يعلم كثيرا من الأمور، ولا دليل أنه يعلم مسألتهم واستغاثتهم أصلا ، فضلا عن معرفة ما في قلوب من يستغيث به، فضلا عن أن يستجب لمسألته.

* * *

إبطال زعمهم أن النبي ﷺ يسمع كل شيء

إن أغلب الأدلة التي في البحث السابق تنطبق على هذا البحث، لذا سأذكر بعضها وأذكر غيرها من الأدلة مع بيان وجه دلالتها على المطلوب:

الدليل الأول: قوله تعالى: **﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء ٦٤]**

وهذا النص يدل على أن النبي ﷺ لا يسمع كل شيء ، فلو كان يسمع كل شيء لما اضطر من يريد التوبة أن يأتِ إليه، بل سيطلب منه وهو في بيته أن يستغفر له.

الدليل الثاني: قوله تعالى: **﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [التحريم ٣]**

وهذه الآية تبين أن النبي ﷺ لا يسمع كل شيء ، ولو كان يسمع كل شيء لن يكن بحاجة إلى الوحي ليعرف كلام زوجته الذي قالته في غيابه.

ونزلت هذه الآية باتفاق الفرق كلها في حق أم المؤمنين السيدة حفصة رضي الله عنها، واختلفوا في سبب نزولها، ومذهب السنة أن النبي ﷺ أخبر حفصة سرا، فأخبرت به السيدة عائشة ، وعند الشيعة كما في تفسير الأمثل: ما هذا السرّ الذي أسرّه النبي لبعض زوجاته ثمّ لم يحفظنه؟

طبقا لما أوردناه في أسباب النزول فإنّ هذا السرّ يتكوّن من أمرين:

الأوّل: تناول العسل عند زوجته (زينب بنت جحش).

و الثاني: تحريم العسل على نفسه في المستقبل".

والقصد هنا بيان أن النبي ﷺ لا يسمع كل شيء.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ**﴾ **[التوبة ١٠١]**

وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ**﴾ **[محمد ٣٠]**

ولو كان النبي ﷺ يسمع كل شيء لسمعهم في بيوتهم وبين أصحابهم، ولعرف نفاقهم من هذا وليس من لحن القول الذي هو الأخطاء التي يقولونها دون أن ينتبهوا.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾**﴾ **[الحجرات ٤-٥]**

فقد كان من يحتاج النبي ﷺ يناديه من وراء الحجرات، أي عند بيوت زوجات النبي ﷺ، ولو كان يسمع كل شيء لما ذهبوا إليه عند بيته ليخبروه مسألتهم.

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿**وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ**﴾ **[القصص ٢٠]**

ولو كان موسى عليه السلام يسمع كل شيء لما احتاج الرجل أن يأته من أقصى المدينة يسعى، ولعرف موسى عليه السلام هذه المعلومة بغير سعي هذا الرجل الصالح.

الدليل السادس: قوله تعالى : ﴿**قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾**﴾ **[طه ٩٢-٩٤]**

قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ**﴾ **[الأعراف ١٥٠]**

ولو أن موسى عليه السلام يسمع كل شيء أو يعلم كل شيء أو حتى يعلم حال أخيه لما غضب منه هذا الغضب قبل أن يتبين منه!

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَـٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**﴾ **[الكهف ١٩]**

وأهل الكهف من كبار الأولياء والصالحين ، ومع هذا لم يسمعوا أهل المدينة، ولا عرفوا أن أهل المدينة أصبحوا على دين التوحيد! إلا بعد هذه الواقعة.

فهكذا أدلة القرآن واضحة جدا على أن الأنبياء والأولياء لا يسمعون كل شيء، ومن هذا أن لوطا عليه السلام لم يسمع حوار نبي الله إبراهيم مع الملائكة، لذلك لم يعلم أنهم ملائكة عندما أتوه حتى أخبروه أنهم رسل ربه، ومن ذلك عدم سماع نبي الله سليمان لما يجري في مملكة سبأ، لذا قال له الهدهد أحطت بما لم تحط به، فكان الهدهد أعلم بالأنبياء وبالدين من القبورية.

الدليل الثامن: هذا الدليل من السنة الصحيحة ، والمعلوم أن أدلة السنة كثيرة جدا في مخالفة مذهبهم، إلا أني سأذكر أقوى دليل يحتجون به على صحة مذهبهم وأقلبه عليهم فيكون أقوى دليل ضد مذهبهم إن شاء الله.

جاء في سنن أبي داود: لا تجعلوا بيوتَكُم قبورًا، ولا تجعلوا قَبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتَكُم تبلغُني حَيثُ كنتُمْ"[1]

وهذا الحديث كما هو واضح يدل دلالة قطعية على أن النبي ﷺ لا يسمع كل شيء ، فإنه قال: فإن صلاتكم تبلغني، ولم يقل: فإني أسمع صلاتكم.

[1] أخرجه أبو داود (2042) واللفظ له، وأحمد (8790)

فمعنى هذا أنه لم يسمعها بالطبع، بل هي تبلغه عن طريق الملائكة، فإن لفظ تبلغني لا يدل على السماع، بل يدل على بلوغه المعلومة بواسطة من سمعها.

ولما يقول القائل: (بلغني عنك) فإنما يقصد أن هناك مبلغ بلغه كلامه، ليس أنه سمعه بنفسه.

فانظر رعاك الله إلى أقوى أدلتهم كيف تنقلب عليهم وتهدم مذهبهم.

الدليل التاسع: حديث آخر احتجوا به سنقلبه عليهم: أن رسول الله ﷺ قال: إن المَيِّتَ إذا وُضِعَ في قَبْرِهِ، إنَّه لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعالِهِمْ إذا انْصَرَفُوا". [1]

وفي الحديث دليل أن الميت يسمع بعض الأمور ولا يدل على استمرار هذا السمع فضلا على دلالته أن الميت يسمع غير هذا ! و سماعه لذلك لا يعني أنه يسمع كل ما يقال لا يشغله قول عن قول.

ثم أننا لم نخالف القبورية في أن الميت قد يسمع القليل من الأشياء، لكننا نخالفهم في ظن بعضهم أنه يسمع كل شيء ، وظنهم أن الميت يسمع أي أحد في أي مكان، وظنهم أن ألوف الناس ينادونه عند القبر ولا يشغله صوت عن صوت ، بل وننازعهم في أن الله يعطي الميت قدرة لسماع من يذهب لقبره دائما.

وهذا الحديث وما في معناه لا يدل على قولهم في أي دعوى نازعناهم فيها.

(1) متفق عليه

الدليل العاشر: احتج القبورية بقوله ﷺ لعمر رضي الله عنه أن قتلى بدر من المشركين يسمعونه.

ونحن سنقلب حجتهم عليهم، فإن حجج القبورية من ضعفها دائما ما تكون أقوى الأدلة القاضية على شركهم.

فهذه الرواية تدل على قولنا من عدة أوجه.

الأول: أن كفار قريش **لا يسمعون كل شيء بالاتفاق،** مما يدل على قولنا أن الميت لو سمع أمرا لا يعني ذلك سماعه لكل شيء بل ولا يدل على سماعه لغير هذا الأمر.

الثاني: أن الأصل في الميت عدم السماع ولذا استغرب عمر رضي الله عنه ، **ولو كان الأصل في الميت أنه يسمع لما استغرب ولا تساءل عمر** رضي الله عنه!

الثالث: أن سماعهم للرسول ﷺ وهو قريب من قبورهم، لا يعني سماعهم لو ناداهم أحد من بعيد، ولذا لا نعرف أن النبي ﷺ كان يوجه خطابا لموتى الكفار وهو على المنبر **بعيد عن قبورهم.**

الرابع: إلزام: هل كان النبي ﷺ يسمع ما يجري بين فاطمة وزوجها ؟ وما يجري بين الأزواج في فراشهم؟ وهل كانت المرأة التي تسأله في الصباح يسمع ما فعلت مع زوجها في الليل؟ مع الاعتذار على ضرب هذه الأمثلة إلا أنها أوقع في قلوب الناس ليعلموا بذلك شناعة قولهم.

الخامس: ناقشت أحد الشيعة في مرة عن الاسغاثة بالصالحين، فأجازها، فقلت له ما مرجعك؟ قال: مرجعي السيد السيستاني ، فقلت له هل

تستغيث به؟ فانقطع ولم يرد، فقلت له: لو مات ونزل تحت القبر وأصبح عظاما ستستغيث به، وهذا يدل على خفة عقل منقطعة النظير.

الوقائع: دلت الوقائع من السيرة أن النبي ﷺ لا يسمع كل شيء ، لذا من كان يحتاجه كان يذهب إليه عند بيته.

ومن هذا فعل القبورية أنفسهم، فيذهبون إلى القبور لعلمهم أن المقبور لن يسمعهم وهم في مدينةٍ ما وهو في مدينة أخرى، ولكن لو سألت هؤلاء العوام، هل هذا المقبور في الضريح يسمعك وأنت في بيتك، سيقول لك نعم! رغم أنه في قرارة نفسه يعلم أن الأمر ليس كذلك.

الإشكالات: أشكل البعض برواية عن الإمام أحمد قال فيها: حججت خمس حجج اثنتين راكب و ثلاث ماشي أو ثلاث راكب و اثنتين ماشي فضللت الطريق في حجة و كنت ماشيا فجعلت أقول يا عباد الله دلوني على الطريق قال : فلم أزل ذلك حتى وقفت على الطريق".

وهذا الإشكال يرد على نفسه بنفسه فأحمد إنما فعل هذا محتجا بالرواية التي فيها « إن لله عز و جل ملائكة سوى الحفظة يكتبون ما سقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد أعينوا عباد الله يرحمكم الله تعالى ».

والرواية هناك من أعلها وضعفها، ومع فرض صحتها فليس فيها معتقد القبورية بحال، فالمقصود بعباد الله هنا هم الملائكة، وليس أهل القبور الذين تحللت عظامهم!

وأيضاً: ليس في هذا نداء لملك معين ولا لشخص معين خلافا لفعل هؤلاء القبورية

وأيضاً: ليس فيه طلب الشفاء أو النجاح أو غير ذلك من نفس هؤلاء الملائكة!

استنتاجات:

الاستنتاج الأول: النبي ﷺ لا يسمع كل شيء ، فكيف ينادي هؤلاء من لا يسمعهم أصلا ! ويترك هؤلاء دعاء الذي يسمع همساتهم في ظلال الليل!

الاستنتاج الثاني: أن من أسباب شرك العبادة أن يشبه صفات الخالق بصفات المخلوق ، فجعلوه يسمع كل شيء كما يسمع الله تعالى كل شيء ، حتى تركوا دعاء الله ودعوا المقبورين.

* * *

إبطال زعمهم أن النبي ﷺ يرى أعمال العباد بعد موته

يعتقد الشيعة أن النبي ﷺ يرى كل شيء بإذن الله. ومنهم من قال: يرى أعمال شيعة علي فقط.

وأما أهل السنة فنعتقد أنه في حياته لم يكن يرى كل شيء، فكيف الحال بعد موته!

الدليل الأول: قوله تعالى: **﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس ٤٦]**

وقوله تعالى: **﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَـٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرعد ٤٠]**

أي أن النبي ﷺ بعد وفاته لن يرَ ما وعد الله به قومه.

قال الإمام السعدي: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: لا تعجل عليهم بإصابة ما يوعدون به من العذاب، فهم إن استمروا على طغيانهم وكفرهم فلا بد أن يصيبهم ما وعدوا به، ﴿إمَا نُرِيَنَّكَ﴾ إياه في الدنيا فتقر بذلك عينك، ﴿أو نتوفينك﴾ قبل إصابتهم فليس ذلك شغلا لك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ والتبيين للخلق".

الدليل الثاني: قوله تعالى: **﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة ١١٧]**

فدل هذا على أن عيسى عليه السلام لم يشهد ما حرفه النصارى بعد رفعه.

الدليل الثالث: قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه وعلى صحته عند الفرق كلها: لَيَرِدُ عَلَيَّ أقْوامٌ أعْرِفُهُمْ ويَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحالُ بَيْنِي وبيْنَهُمْ. قالَ أبو حازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمانُ بنُ أبِي عَيَّاشٍ وأنا أُحَدِّثُهُمْ هذا، فقالَ: هَكَذا سَمِعْتَ سَهْلًا؟ فَقُلتُ: نَعَمْ، قالَ: وأنا أشْهَدُ على أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فيه قالَ: إنَّهُمْ مِنِّي، فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي ما بَدَّلُوا بَعْدَكَ". [1]

وفي هذا الحديث تصريح أن النبي ﷺ لا يرى عامة ما جرى بعد موته ، وهذا الحديث خير نص ودليل.

الأدلة الواقعية العقلية: لم يكن النبي ﷺ يرى كل شيء في حياته، بدليل ما ذكرته سابقاً في قصة حذيفة في يوم الأحزاب وغيره.

وأيضاً: لو كان يرى كل شيء لوجب على النساء أن تتحجب أمام زوجها، وخاصة بناته! وهذا لكي لا يرى الرسول ﷺ النساء بغير حجابهم.

انظروا لوازم هذا القول القبيح! فهل كان يرى ﷺ ما يقع من علاقات زوجية بين الناس وهو حي؟ وهل رأى ذلك الحال مع بناته والعياذ بالله ! وبشكل عام فإن السيرة تدل دلالة قطعية أن عامة الأمور التي لا يراها الناس في العادة، لم يكن يراها النبي ﷺ، إلا ما كان يريه الله إياه، وهذا كان في حالات خاصة لا يصح تعميمها فضلا عن الادعاء أنه يرى كل شيء في حياته فضلا عن ادعاء ذلك بعد موته!

---

(1) متفق عليه

أما ما ظنه البعض من أن أعمالنا تعرض على النبي ﷺ فإن هذا يراد به أصل الأعمال الظاهرة التي كان يراها ممن حوله، كالصلاة والصيام، وهكذا، وليس أعمالهم الخاصة كلها.

وأما بعد موته فلم يصح أي أثر يدل على أن هناك أعمال تعرض عليه ﷺ.

الاستنتاجات: لا يستغاث به ولا بغيره وهم لا يرونا، خاصة بعد موتهم.

* * *

إبطال زعمهم أن النبي ﷺ يقدر على كل شيء

هؤلاء إنما ينادون الأموات لظنهم أن هذا الميت يقدر بإذن الله على مساعدتهم.

وظنوا أن الله تعالى أذن لأهل القبور من الأنبياء والأولياء أن يساعدوا من يدعوهم مع الله.

والرد عليهم بأدلة كثيرة منها:

الدليل الأول: قوله تعالى: **﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة ٩١-٩٢]**

ووجه الدلالة أن هؤلاء أهل الصلاح قد أرادوا الجهاد في سبيل الله، لكن النبي ﷺ لم يستطع أن يعينهم براحلة فيها الطعام والشراب وتعينهم على السير، لذا قال لهم: « لا أجد ما أحملكم عليه ».

ولو كان يقدر على كل شيء بإذن الله لكان واجدا لما يحملهم عليه بالفعل.

وهذا النص يحسم كل شيء، فإن من سألوا النبي ﷺ الجهاد معه كانوا من عباد الله الصالحين بنص الآية، وكان النبي ﷺ حي حاضر أمامهم، ومع هذا لم يستطع أن يعطهم ما أرادوه.

وهذا لنكتة غابت عن هؤلاء القبورية، فإنهم يكثرون من مقولة: « إن النبي ﷺ يقدر على فعل كل شيء بإذن الله ».

ولا ينتبهوا إلى أنه قد يعجز عن فعل أشياء كثيرة أيضاً بإذن الله!

لذلك لما يقول القبوري: « هل يمكن أن يكون النبي ﷺ سببا في الشفاء بإذن الله ؟ ».

نقول له: هل يمكن أن يعجز النبي ﷺ على أن يكون سببا في الشفاء بإذن الله؟ وهنا يعجز القبوري عن الرد.

لأن حقيقة معتقدهم أن مشيئة الله تتعلق بقدرة الأولياء ولا تتعلق بعجزهم! وإن لم يكن هذا نص مقالهم إلا أنه واقع حالهم.

ونحن نعتقد أن النبي ﷺ يمكن أن تقع له معجزات بإذن الله، لكن هذا يقع في أشياء ولا يقع في كل شيء.

بل **لا يوجد غير الله من يقدر على كل شيء** لقوله تعالى: **﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق ١٢].**

الدليل الثاني: قوله تعالى: **﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِى بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ [هود ٧٩-٨٠]**

فهذا لوط عليه السلام نبي من أنبياء الله ورسله، لم يجد قوة يمنع بها قومه من ضيفه! مع وجود الحاجة العظيمة لمنعهم، **إلا أن مقام**

النبوة والرسالة والإمامة لا يمنع من العجز على كثير من الأمور، وهذا المعنى أصلا معلوم من الدين بالضرورة.

الدليل الثالث: قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ **[القصص ٢١]**

ومن الممتنع أن يكون قادرا على كل شيء بإذن الله ثم يخاف من عدوه القتل.

وهذا يلزم الشيعة الرافضة ممن يعتقد أن المهدي إمام حاضر له قوة خارقة وتحكم بالكون ثم يصدق بأنه غاب خوفا من القتل، كما جاءت الرواية الصحيحة عندهم عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن للقائم غيبة قبل أن يقوم، إنه يخاف - وأومأ بيده إلى بطنه - يعني القتل.[(1)]

وصرّح شيوخ الطائفة المرتضى والطوسي وغيرهما من المتقدمين، إلى أنّ العلة الحقيقية الكامنة وراء الغيبة هو خوف الإمام على نفسه من القتل، وإلجاء الظالمين له على ذلك.[(2)]

قلت: هذا أيضاً يعارض القول بأنه يقدر على كل شيء ولو بإذن الله ، بل يثبت أن أخص الأمور وهي القدرة على الدفاع عن النفس، هي ليست حاضرة لإمام الشيعة الذي زعموا له الولاية التكوينية والقوة على فعل كل شيء. فكيف للعاجز أن يدافع عن نفسه من ١٢٠٠ سنة كما زعم

(1) الكافي للكليني: 1 / 340

(2) المقنع في الغيبة للمرتضى، ص52، الغيبة للطوسي، ص329

الرافضة، كيف له أن يقدر أن يدافع عن الرافضي الذي يستغيث به! إن هذا لمن العجائب!

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ**﴾ **[الأنبياء ٨٣]**

فلم يكن أيوب عليه السلام قادرا على أن يشفِ نفسه، وهؤلاء يستغيثون به وبمن هم أدنى منه كأبي الفضل العباس وأم البنين واستغاثة المتصوفة بالبدوي والجيلاني وغير هؤلاء ممن هم بدرجة ومنزلة أقل من الأنبياء، ويظن هؤلاء أن هذا الميت في قبره سيشفيه، لم ينتبهوا أن أيوب في حياته لم يعينه على الشفاء إلا الاستغاثة بالله وحده.

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿**وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾**﴾ **[الحجر ٥١-٥٦]**

فالنص يظهر عدم علم نبي الله إبراهيم بكل شيء، فلم يعلم سبب مجيء الملائكة قبل أن يخبروه، بل ولم يعلم أنهم ملائكة، ثم يبرز النص خوفه من هؤلاء النفر، وهذا يبرز عدم قدرته على كل شيء ، ولا حتى قدرته أن يدافع عن نفسه دائماً! ثم يظهر النص محبة إبراهيم عليه السلام للإنجاب، ومع هذا لم يكن يستطيع أن يشفي زوجته فتنجب، وهؤلاء القبورية من يصاب بالعقم منهم يستغيث بمن هم أقل قدرا وقدرة من نبي الله إبراهيم, أضف على هذا أنهم موتى.

وهذا المعنى فهمه إبراهيم عليه السلام ولم يفهمه القبورية لذا قال:
﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢﴾ [الشعراء ٧٨-٨٢]

ونظائر هذا من الأدلة ما يملأ القرآن ، وحسبي التنبيه للنبيه ليستقر في ذهنه هذا المعنى.

والنكتة هنا أن القبورية ومن كثرة رؤيتهم كرتون سوبر مان وبات مان، أو من كثرة رواياتهم الباطلة التي تشبه هذه الكرتونات، ظنوا أن الرسل والأئمة لا يكونوا بهذه المنزلة العالية ثم يقع منهم العجز!

نعم" يقع للأنبياء والأولياء من الكرامات ما يزدادون به قوة في بعض الأحيان ، لكنها تبقى قدرة محدودة، ثم أن الله تعالى يظهر عجزهم كذلك حتى لا يعبدهم الناس من دونه.

الدليل السادس: قوله تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّى وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ [مريم ٤]**

فهذا النبي زكريا عليه السلام ، يقول: أن عظامه ضعفت ، ولم يقدر على تقوية جسده ولا شفاء زوجته، وهو نبي من أكرم الخلق عند الله.

لذا نقول أن عجزهم أيضاً يقع وقد وقع بالفعل بإذن الله.

الأدلة الواقعية والعقلية على صحة ما نقول:

الدليل الأول: مرض النبي ﷺ وعدم قدرته على القيام لصلاة الجماعة قبل موته. عجز أن يقيم نفسه ولكنه سيقدر على أن يشفي من يستغيث به!

الدليل الثاني: أن الميت من الأنبياء والمرسلين والأولياء، لا يُعرف موته إلا بالنظر إلى جسده عندما يعجز أن يحركه، كما في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ**﴾ **[سبأ ١٤]** فتجده لا يقدر على تحريك يديه وقدميه ولا على فتح عينيه، ثم يأتي ذاك المشرك يستغيث به مع الله تعالى، ويطلب منه أن يعينه في الحرب والكرب وغير ذلك! فالله المستعان.

الدليل الثالث: عجز من يعبدهم هؤلاء في مواطن الحاجة.

فتجد الشيعة يستغيثون بأبي الفضل العباس بعد عجزه أن يدافع عن أخيه الحسين رغم محاولته.

وكذلك عجز علي أن يدافع عن زوجته في موقعة كسر الضلع (الخرافة التي يصدقها الرافضة) ، وأيضاً عجز فاطمة أن تدافع عن نفسها، رغم استغاثة هؤلاء بها! ظانين أنها ستعجز أن تحمي نفسها وهي حية، ثم ستقدر على حمايتهم بعد أن ماتت!

وأيضاً: عجز علي رضي الله عنه أن يدافع عن نفسه من ابن ملجم، وكذا الحسين وعدم قدرته على الدفاع عن نفسه حتى مات شهيدا رضي الله عنه.

وهذا العجز ثابت لكل الخلق، ولا يتعلق بمن اتخذهم الشيعة أئمة فقط، بل هو ثابت لكل الأنبياء والأولياء فضلا عن غيرهم.

الدليل الرابع، سؤال: هل كان النبي ﷺ والأولياء يمثلون عندما وقعوا على الأرض ولم يحركوا أصابعهم عند موتهم؟ أم كانوا بالفعل عاجزين عن فعل ذلك ؟

الدليل الخامس: يعتقد الشيعة بالتقية، والتقية هي إظهار الإمام المعصوم غير الحق خوفا من القتل أو خوفا على الأتباع، وهذا لا يمكن وقوعه مع الظن أنهم يقدرون على كل شيء ، فمن يقدر على كل شيء يقدر على منع الأعداء من الوصول إليه، وهذه مسألة واضحة لكل عاقل.

الإشكالات: يقول القبورية أن الدجال له قوة خارقة تتعلق بنزول المطر ونظائر ذلك، ومن المعلوم أن النبي ﷺ أكرم وأعظم من الدجال، فأن يتصف الرسل والأولياء بتلك القوة هذا من باب أولى.

الرد: نحن لا ندعي أن الدجال يقدر على كل شيء، بل يقدر على بعض الأمور ويعجز عن أمور كثيرة أيضاً، ومواطن عجزه تؤكد عدم استحقاقه أن يستغاث به من دون الله.

من ذلك عجزه عن دخول المساجد ومكة وعجزه أن ينزع كلمة كافر عن جبهته، وغير ذلك ما يؤكد عجزه عن بعض الأمور.

والرد الثاني: أن قصة المسيح الدجال هي أعظم ما يرد على هؤلاء، فقد تقع خوارق عادات ومع هذا لا تدل على الولاية ولا الكرامة، بل قد تكون فتنة لأهل الشرك بسبب ما تركوه من اتباع البينات.

وهذا مما يقع للقبورية عندما يحقق الله لهم بعض الذي سألوه عن طريق الشرك، ليمدهم في ضلالهم عقوبة لهم على ما تركوه من البينات والهدى، وسيأتي تفصيل هذا في موضعه.

وبشكل عام نحن أهل التوحيد لا نثبت القدرة المطلقة لأحد من الخلق ولا نعتقد أن ثبوت تلك القدرة للدجال تعني ثبوتها لكل الأنبياء، هذا لأن الأنبياء ليسوا في سباق استعراض القوة، بل عدم قدرتهم في مواطن كثيرة يبرز لنا مقامات ثابتة للأنبياء ولا تثبت لأمثال الدجال، مثل مقام الصبر والرضا وغير ذلك، وهذا الرد بديهي لكنه غائب عن قلوب انغمست في وحل ما يضاد سلامة العقيدة.

وقد خضت نقاشا مع أحدهم في هذا المقام **فقال:** أنتم تثبتون الولاية التكوينية للدجال، فتم الرد عليه بأن هذا غير صحيح، والصحيح الثابت عندنا ضد هذا، وتبين له أنه يبرر مذهبه الشركي بخرافات ظنها عند أهل السنة، وهي ليست كذلك.

إشكالية أخرى: لو أن العبد لا يقدر، كيف نطلب من الناس مساعدتنا؟

الرد: نحن لا ننفي القدرة عن العبد، بل ننفي القدرة المطلقة وعدم العجز عن العبد! فتبين الخلل في السؤال. نعم يمكنك أن تسأل الناس ما يقدرون عليه، والمقبور الذي عجز أن يحرك إصبعه فهو أعجز عن أن يساعدك من باب أولى، لو تنبه العاقل لمثل هذا عُصم من خرافات الشرك كلها!

وهذا تصديقاً لقوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ**

لَكُمۡۚ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر ١٣-١٤]

إشكالية أخرى: احتجوا بقوله تعالى: **﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [التوبة ٧٤]** قالوا إن هذا النص يدل على أن النبي ﷺ يتفضل على العباد ويعطيهم ويغنيهم.

الرد الأول: نحن نثبت ذلك ولكن لا نتجاوز النص فنقول نعم تفضل عليهم بما يقدر عليه من تبليغهم للوحي، وكذلك إعطاء من يسأله من ذوي الحاجة بقدر ما يملك النبي ﷺ. أما تجاوز ذلك بإثبات أن النبي ﷺ يقدر على كل شيء وأن ما من غنى للخلق إلا وهو نابع من النبي ﷺ ، فإن هذا لم يحدث ، ولم يكن مقدورا له أصلا كما دلت النصوص الظاهرة

قال الطبري: وقوله: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ ، ذكر لنا أن المنافق الذي ذكر الله عنه أنه قال كلمة الكفر، كان فقيرًا فأغناه الله بأن قُتِل له مولًى، فأعطاه رسول الله ديتَه. فلما قال ما قال، قال الله تعالى: ﴿وما نقموا﴾ ، يقول: ما أنكروا على رسول الله ﷺ شيئًا،(١٥) = ﴿إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ .

الثاني: يمكن للعبد أن يتفضل على العبد ولا يعني هذا أنه تفضل عليه بكل شيء، ولا أنه يقدر على ذلك أصلا، وهذا أمر يتعامل به كل الخلق ، والعجب كيف خفي هذا عن هؤلاء رغم وضوحه.

الثالث: الآية إنما تدل على أن النبي ﷺ تفضل عليهم بنعم كثيرة توجب محبته الموجبة لاتباعه، والله تعالى تفضل عليهم بكل النعم الموجبة لعبادته، وليس في النص أن النبي ﷺ تفضل عليهم بكل النعم، بل فيه أنه أغناهم بنعمة تعليمهم الدين، وكان سببا من أسباب إخراجهم من الظلمات إلى النور.

الاستنتاجات: عدم جواز الاستغاثة بغير الله من أهل القبور لعدم قدرتهم على شيء، إلا ما بين الوحي قدرتهم عليه وهي أمور قليلة، قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ**﴾ **[الأعراف ١٩٧]**

* * *

إبطال زعمهم أن ما يثبت للأنبياء عليهم السلام من المعجزات والكرامات ثابت للنبي محمد ﷺ

زعم القبورية أن الثابت لغير النبي ﷺ من الأنبياء ثابت له.

وأما أهل السنة **فقالوا:** نعتقد أن النبي ﷺ أفضلهم، وليس معنى هذا أن كل ما كرمهم الله به كرم نبيه ﷺ به.

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾**﴾ **[ص ٣٥-٤٠]**

وهذا النص يكفي في إثبات مذهبنا فقد طلب سليمان عليه السلام كرامة عظيمة تتعلق بالملك، ثم دعا أن لا تقع لأحد بعده.

واستجيب له فأتاه الله هذا الملك العظيم الذي يشمل معجزات وكرامة ليست لغير سليمان عليه السلام، ومع هذا فإن محمدا وعيسى عليهم الصلاة والسلام كانوا بعد نبي الله سليمان عليه السلام، وهم أكرم وأفضل منه.

وبالجملة فإن أفضلية الشخص على الشخص لا تستلزم أفضليته من كل وجه، بل ليس هناك مخلوق أفضل من كل المخلوقات من كل وجه، بل الله وحده هو الكامل عن خلقه من كل وجه.

أما الأفضلية فإنما تكون بمجموع الوجوه، أو ما ثبت من كرامة عظمى مقارنة بأخرى.

فإن القرآن الكريم وهو معجزة النبي ﷺ أعظم من معجزات موسى وعيسى وملك سليمان عليهم السلام، لأنه اشتمل على خرق لعادة الناس واشتماله على الهداية الشرعية كذلك.

فثبتت أن معجزة النبي ﷺ أعظم من معجزات بقية الأنبياء عليهم السلام، ولكن ليست كل معجزة ثابته لهم ثابتة له.

الدليل الثاني: قوله تعالى: **﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ [البقرة ٢٥٣]**

أي أن الأنبياء والمرسلين ثبت فضل بعضهم على بعض، ببعض الكرامات والمعجزات، وثبت كرامة لموسى لم تثبت لعيسى عليهم السلام والعكس.

وهذا يؤكده حديث الشفاعة المشهور أن الناس تذكر كل نبي بما اختص به من كرامة، ومن المعلوم أن آدم عليه السلام الوحيد الذي خُلق بيدي الله، وليس لنبي فضل نوح عليه السلام من طول الدعوة التي استمرت ألف سنة إلا خمسين عاما وهو أول الرسل، وآدم هو أبو البشر وهذا لا يثبت إلا له، ومما أكرم الله تعالى نبيه نوح عليه السلام أنه جعل ذريته هم الباقين، لذا قيل أنه أبو البشر الثاني.

وليس لأحد ملك كملك سليمان، ولا جمال كجمال محمد ﷺ ويوسف عليهما السلام.

وغير ذلك من الكرامات و المعجزات، التي تثبت لبعض الرسل مما تدل على تفضيل بعضهم على بعض.

والقصد هنا أن أحد الأنبياء قد يكون أفضل من غيره عند الله ، وله من الكرامات ما ليس لغيره، ولهم من المعجزات والكرامات ما ليس له.

والعجيب أن الشيعة أول من طرح هذه الفكرة السخيفة ثم هم أول من ناقضها، فإنهم زعموا أن عليا رضي الله عنه هو أفضل من كل الأنبياء والمرسلين، ومع هذا يثبت للأنبياء والمرسلين مقام الرسالة والنبوة ولا يثبت لعلي رضي الله عنه بالاتفاق، مع إقرارهم لعلو مقام الرسالة والنبوة.

فثبت من هذا أن الأفضلية لأحد على أحد لا تستلزم الأفضلية من كل وجه، بل يكفي أن تكون من وجه دون وجه، أو تكون أفضلية بمجموع الوجوه.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾ **[النمل ٢٢]**

فهل الهدهد أفضل من سليمان لإحاطته بما لم يحط به نبي الله سليمان عليه السلام!

الأدلة الواقعية والعقلية على فساد هذا الطرح:

الدليل الأول: قد يقال مثلا أن زيد أفضل من عبيد ومع هذا فإن عبيد أكرم منه، فإن أفضلية عبيد في صفة لا تمنع من أفضلية زيد عليه بمجموع الصفات.

الدليل الثاني: ثبت عند القبورية أفضلية بعض الأولياء على بعض، ومع هذا فإنه قد يثبت للولي المفضول كرامة لا تثبت للولي الفاضل.

الدليل الثالث: الشيعة لا يثبتون للنبي ﷺ فضائل ثابتة لبقية الأنبياء، من ذلك أن الوحي قد مدح أصحاب عيسى عليه السلام ، وهذا المقام لا يثبت لمحمد ﷺ عند الرافضة، فأمته عندهم هي شر أمة.

الدليل الرابع: سؤال إلزامي: هل يثبت للنبي ﷺ أن الله تعالى أسجد له ملائكته كآدم عليه السلام ؟ وأين النص على هذا ؟

ثم ما الدليل الشرعي على هذه القاعدة!

الاستنتاجات: عدم نسبة القدرة للنبي ﷺ على كل ما قدر عليه الأنبياء من قبله.

* * *

إبطال قولهم أن مادام الشهيد حي في قبره فهو يسمع النداء ويجيبه:

مختصر اعتقاد أهل التوحيد:

نحن نثبت الحياة في عالم البرزخ للشهيد، إلا أنهم بحاجة للرزق وليسوا هم من يرزقوا العباد، لا بإذن الله ولا بالاستقلال، ونعتبر أن حياتهم ليست كحياتنا ولا نعلم عن حياتهم شيئا إلا عن طريق الوحي، ونعتقد أن الشهيد هو من يحتاج إلى الدعاء لتزداد حسناته وتُرفع درجاته.

الدليل الأول: قوله تعالى: **﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران ١٦٩]**

قوله تعالى: يُرزقون بضم الياء دال على أنهم بحاجة إلى الرزق والتنعم، والله أعطاهم حاجتهم، وليسوا هم من يفعلوا ذلك للناس، فلا يَرزِوقون أحدا، والفرق بين معنى يرزقون بضم الياء أو فتحها واضح جدا.

الدليل الثاني: قوله تعالى: **﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر ٢٢]**

وقوله تعالى: **﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ [النمل ٨٠]**

فالذي في القبر في الأصل أنه لا يسمع، ولا يمكن لأحد ولو ناداه بعلو صوته أن يجعله يسمع إلا الله تعالى من يُسمعه، والأصل في الميت عدم السماع حتى يأتي دليل يخالف هذا الأصل، فلا نعلم أنه يسمع إلا

عن طريق الوحي، والوحي لم يبين لنا سماع المقبور إلا لأمور قليلة جدا، أقل بكثير مما يسمع في حياته.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر ٣٠]

فقد ثبت موت النبي ﷺ بهذا النص، مع أنه مات شهيدا، فهو حي لكن عند ربه بحياة أخرى ليست كحياتنا.

الأدلة الواقعية والعقلية:

الدليل الأول: لو أن الشهيد حي كحياتنا ولم يمت موتة الدنيا، لما جاز أن تنتقل الخلافة من النبي ﷺ لمن بعده لأنه لم يمت بعدا! وهذا القول فاسد بالاتفاق.

الدليل الثاني: النبي ﷺ كان حيا في الدنيا ولم يكن يكلمه الناس معا بوقت واحد، بل كان يسمع الواحد تلو الآخر، فلو أنه حي في قبره كما كان حي في حياته، لما جاز أن يناديه كل هؤلاء في وقت واحد لأنه لن يستوعبهم سمعه.

الدليل الثالث: النبي ﷺ في حياته لم يكن يسمع البعيد كالقريب، وفي الحديث الصحيح عن عائشة أنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات". وفي رواية« تبارك الذي وسع سمعه كل شيء »[1]

فإن وِسع سمعه تعالى للأصوات صفة تختص به، وعدم إنشغاله بصوت عن صوت كذلك.

[1] أخرجه ابن ماجه (2063)، والحاكم (3791)، وأبي يعلى (4780) واللفظ لهم.

ومن هنا نفهم أن القبوري لا يتعامل مع النبي ﷺ والأولياء معاملة الأحياء في الدنيا، بل يتعاملون معهم معاملتهم مع الإله الذي يسمع البعيد والقريب ولا يشغله صوت عن صوت، فهدى الله قوما شبهوا المخلوق بالخالق.

الدليل الرابع: كان النبي ﷺ ينام، وكانت الناس تنتظره إلى حين قيامه، وفي الحديث المشهور عند أهل السير أن الصديق رضي الله عنه لدغ من عقرب، إلا أن النبي ﷺ لم ينتبه لذلك حتى استيقظ.

وإن كان سند الرواية فيه نظر، إلا أن المعنى المستنبط من هذا صحيح بل ومتواتر، والنوم هو الموت الأصغر، فكيف بالموت الأكبر!

وقال تعالى في حق النوم: ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا﴾ [النبأ ٩]

ولذا ليس في كتب السنة ولا كتب من خالفهم أن الناس كانت تطلب الحاجات من النبي ﷺ أثناء نومه، بل نهي عن نداء النبي ﷺ من وراء الحجرات كما نصت الآية.

الدليل الخامس: نجد المخالف دائما يتناقض في هذا الباب، فإن أراد إثبات أن الميت يسمع، جعل الميت كالحي، وإن أراد جعل الميت يسمع كل شيء ، جعل حياة الميت ليست كحياة الحي!

لذا نسأل هؤلاء: هل هو حي كحياتنا أم لا؟ فإن قال كحياتنا، لزمه عدم مناداته إلا عن قرب، ويجب عليه أن ينتظر فراغ الناس حتى يطلب منه حاجته والعياذ بالله.

ولو قالوا ليس حيا كحياتنا، لزمهم الدليل على أن الميت يسمع كل الأصوات دائما.

وقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ تبلغه صلواتنا عليه ولا يسمعها.

الاستنتاجات:

الاستنتاج الأول: أن حياة الشهيد ليست كحياتنا.

الاستنتاج الثاني: أن الكل يموت ومنهم الأنبياء والأولياء ويبقى الحي الذي لا يموت.

الاستنتاج الثالث: أن الرافضة بسبب هذا الأصل اخترعوا قصص لموت كل أئمتهم أنهم ماتوا مقتولين، وهي قصص أغلبها لم يصح ، خاصة ما اخترعوه بخصوص السيدة فاطمة رضي الله عنها.

* * *

إبطال قولهم أن الوسيلة هم أهل البيت أو الأولياء

يعتقد القبورية أن الوسيلة معناها أن تتوسل بأهل البيت ، ثم زادوا واتهموا أهل السنة أنهم يرون أن الوسيلة كفر.

اعتقاد أهل التوحيد: الوسيلة هي كل ما يقربنا إلى الله من الأقوال والأفعال التي يحبها الله ويرضاها، من ذلك الصلاة والزكاة والحج والعمرة والصيام ودعاء الله وحده بأسمائه وصفاته، أو أن تتوسل إلى الله بدعوة الرجل الصالح لك، وغير ذلك.

وأما الوسيلة البدعية فهي أن يسعَ العبد أن يتقرب إلى الله بشيء لم يشرعه الله تعالى، وهذه تشمل أدعية القبورية بحق أهل البيت، فهذه الأدعية ليست شركا بدون أدنى شك، ولا يكفر فاعلها، لكنه يتوسل إلى الله بما لم يشرعه، أي أنه يتوسل إلى الله بما ليس وسيلة أصلا، ومن هنا نقول أنها بدعة، ولكن لأن فاعل هذا يدعو الله وإن كان يدعوه بطريقة غير مشروعة، فنحن لا نكفره ولا نرَ فعله كفرا.

وأما الشرك الذي سماه القبورية وسيلة، من قولهم " مدد يا حسين "، " وأغثنا يا عبد القادر "، " ونظرة يا أبا الفضل "، وطلب الشفاء من البدوي ونظائر ذلك من الشركيات، **فليست هذه وسيلة لا لغة ولا شرعا**، بل تسمى استغاثة.

وأما التوسل بالصالحين من أهل البيت وغيرهم ففيه تفصيل: ويدخل ضمن التفصيل السابق في أن الوسيلة إن كانت مشروعة فهي واجبة أو مستحبة، وإن كانت غير مشروعة فهي بدعة أو قد تصل إلى الشرك.

فمحبة النبي ﷺ واتباعه ومحبة أهل بيته ومودتهم هي من الوسائل المشروعة التي تقرب إلى الله تعالى، لذا كان يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومودة القربى بها أتوسل». أي يتوسل إلى الله بمودة قربى النبي ﷺ.

وأما التوسل بهم بمعنى الدعاء بجاههم وحقهم وغير ذلك من الأدعية غير المشروعة وصناعة صورا لهم وتقبيلها والتبرك بها، فهي بدعة ضلالة، وأما دعاء هؤلاء من دون الله ليس وسيلة بل شرك لا يغفر لقوله تعالى: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء ١١٦]**

الدليل الأول: قوله تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة ٣٥]**

وليس في النص تفصيل هذه الوسيلة، فإن الوسيلة معناها ما يقربنا إلى الله، وتفصيل هذا في القرآن كله وكذلك السنة النبوية المطهرة.

قال الإمام الطبري: «وابتغوا إليه الوسيلة"، يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه». ثم قال: «و"الوسيلة": هي"الفعيلة" من قول القائل:"توسلت إلى فلان بكذا"، بمعنى: تقرَّبت إليه، ومنه قول عنترة:

إنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إلَيْكِ وَسِيلَةٌ ... إنْ يَأْخُذُوكِ، تكَحَّلِي وتَخَضَّبي

يعني بـ"الوسيلة"، القُرْبة، ومنه قول الآخر:

إِذَا غَفَلَ الوَاشُونَ عُدْنَا لِوَصْلِنَا ... وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالوَسَائِلُ»

ونقل الإجماع على هذا المعنى ابن كثير، قال: «وَقَالَ قَتَادَةُ: أَيْ تَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ. وَقَرَأَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الْإِسْرَاءِ:٥٧] وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ لَا خِلَافَ بَيْنِ الْمُفَسِّرِينَ فِيهِ».

وفي تفسير الميزان **الشيعي**: «قال تعالى: وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، و حقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم و العبادة، و تحري مكارم الشريعة، و هي كالقربة».

وليس في هذه الآية بل ولا في الشرع كله أن دعاء الأموات من الأولياء وجعله وسيلة تقربنا إلى الله!

الدليل الثاني: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا﴾ [الإسراء ٥٧]

وفي هذا النص هداية بالغة لهؤلاء القبورية، فإن النص يخاطب كفار قريش ممن كان يدعو الملائكة من دون الله، فأخبرهم الوحي كيف تدعون الملائكة؟ وهم أنفسهم مفتقرون إلى الله يبتغون إلى ربهم الوسيلة، ومن ذلك رجاء رحمته وخوفهم من عذابه.

ونحن نقول للقبورية أن من تدعونهم مع الله، **هم أفقر الخلق إلى الله، فلا تعلق قلبك بالمخلوق المفتقر المحتاج، بل بالخالق الغني.**

قال البغوي: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ يَعْنِي الَّذِينَ يَدْعُونَهُمُ الْمُشْرِكُونَ آلِهَةً يَعْبُدُونَهُمْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: وَهُمْ عِيسَى وَأُمُّهُ وَعُزَيْرٌ وَالْمَلَائِكَةُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ "يَبْتَغُونَ" أَيْ يَطْلُبُونَ إِلَى رَبِّهِمُ "الْوَسِيلَةَ" أَيِ الْقُرْبَةَ. وَقِيلَ: الْوَسِيلَةُ الدَّرَجَةُ الْعُلْيَا أَيْ: يَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ فِي طَلَبِ الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا.

وَقِيلَ: الْوَسِيلَةُ كُلُّ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ مَعْنَاهُ: يَنْظُرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ فَيَتَوَسَّلُونَ بِهِ وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَيُّهُمْ أَقْرَبُ يَبْتَغِي الْوَسِيلَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ جَنَّتَهُ ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ أَيْ يُطْلَبُ مِنْهُ الْحَذَرُ.»

الدليل الثالث: قوله تعالى: **﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الشورى ٢١]**

أي أنه لا يجوز أن نتبعد لله إلا بما شرعه سبحانه عن طريق الوحي.

الدليل الرابع: قوله تعالى: **﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال ٩]**

ووجه الدلالة في النص أن طلب الغوث والمدد من الله تعالى، فاستبدل القبورية طلب المدد والغوث من الله، **ووجهوا هذه العبادة للعظام التي نزلت تحت القبور والتي لم يستطع أصحابها دفن أنفسهم.**

الدليل الخامس: قوله تعالى: **﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ**

فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر ٣]

وهذا النص يبين أن فعل بعض القبورية اليوم من جنس عقائد أهل الشرك في زمن النبي ﷺ ، فإنهم زعموا أنهم يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام التي هي أصنام لملائكة أو لأولياء ماتوا، فظنوا أن عبادتهم غير الله وسيلة، ولم تكن كذلك، بل كانت شرك لا يُغفر لصاحبه ولا تقبل فيه شفاعة لقوله تعالى: **﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس ٢٣]**

الدليل السادس: قوله تعالى: **﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس ١٨]**

فقد كان عبدة الأصنام يقرون بوجود خالق لكل شيء، ثم أنهم زعموا أنهم يعبدون شفعاؤهم عند الله، أي لأنها تقربهم إلى الله، كما يزعم قبورية اليوم في توجيههم الدعاء والتضرع والخوف والمحبة المفرطة للأموات، ثم زعموا أنهم ما فعلوا هذا **إلا لأن هؤلاء شفعاؤهم عند الله.**

الدليل السابع: قوله تعالى: **﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف ٦٧]**

وقوله تعالى: **﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه ١٤]**

وغير هذه النصوص الكثير جدا مما يدل على التوكل على الله ومحبته والاستعانة به وهي نصوص دالة أن **أعظم وسيلة يتقرب بها العبد إلى الله توحيده.**

الدليل الثامن: قوله تعالى: **﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف ١٥٨]**

فقد جمعت هذه الآية توحيد الربوبية الدال على وجوب توحيد العبادة الذي من لوازمه اتباع النبي ﷺ. فبين لنا سبحانه الوسيلة الصحيحة مع بيان منطلقاتها.

الدليل التاسع: قوله تعالى: **﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف ٢٩]**

وقوله تعالى: **﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[غافر ١٤]**

وقوله تعالى: **﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة ٥]**

فأمر تعالى بوجوب إخلاص العبادة له وحده لا شريك له، لا دعاء صنم ولا حجر ولا **عظام** باتت تحت التراب.

الدليل العاشر: قوله تعالى: **﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ**

عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لنكونن مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس ٢٢-٢٣]

وقوله تعالى: **﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت ٦٥]**

فهذه النصوص تبرز أن كفار قريش كانوا وقت الخوف يدعون الله وحده، وقبورية اليوم وقت الخوف يشركون بالله في الدعاء.

وهذه النصوص الأخيرة دالة على **مسائل:**

الأولى: أن كفار قريش لم يظنوا الاستقلال في أصنامهم، لذا وقت الشدة دعوا الله وحده.

الثانية: أن وقت الشداد الذي ينقذ العبد دعاء الله وحده وليس الاستغاثة بالأموات والأوثان.

الأدلة العقلية والواقعية التطبيقية:

الدليل الأول: عاش النبي ﷺ ومات لم يتوسل لله بالاستغاثة بالأموات، والصحابة الكرام كانوا يدعون الله وحده، وقد توسلوا إلى الله بطلبهم دعاء النبي ﷺ لهم أثناء حياته وهو معهم، وفعل هذا جائر مشروع.

الدليل الثاني: لا يعقل أن نتعبد لله بما يخترعه الناس ولم يدل عليه الوحي.

الدليل الثالث: لا يعقل أن تكون أهم وسيلة هي الدعاء بحق أهل البيت ثم لا تجد في كتاب الله أي إشارة على هذه التي زعموا أنها أهم وسيلة في الشرع.

الاستنتاجات: أن الوسيلة حق ولكن القبورية هم أبعد الناس عن الوسائل التي تقربنا إلى الله تعالى.

* * *

توحيد الأنبياء والمرسلين

مما يزعمه القبورية من الشيعة توسل الأنبياء بأهل البيت، ويحتجوا بذلك بمرويات لا صحة لها عند أهل السنة، وروايات أخرى صحيحة عندهم، من ذلك ما رواه علامتهم المجلسي قال: باب) * (إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله) * * (عليهم أجمعين) * 1 - جامع الأخبار، أمالي الصدوق: مايرويه عن عمه عن أحمد بن هلال عن الفضل بن دكين عن معمر بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: أتى يهودي النبي (صلى الله عليه وآله) فقام بين يديه يحد النظر إليه، فقال: يا يهودي ما حاجتك؟

قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة والعصا وفلق له البحر وأظله بالغمام؟

فقال له النبي (ﷺ): إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه، ولكني أقول: إن آدم (عليه السلام) لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي، فغفرها الله له.

وإن نوحا لما ركب في السفينة وخاف الغرق قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق، فنجاه الله عنه.

وإن إبراهيم (عليه السلام) لما ألقي في النار قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني منها، فجعلها الله عليه بردا وسلاما.

وإن موسى لما ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: اللهم إني أسالك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني فقال الله جلاله: لا تخف إنك أنت

الاعلى، يا يهودي إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئا ولا نفعته النبوة، يا يهودي ومن ذريتي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم (عليه السلام) لنصرته فقدمه وصلى خلفه. [1]

اعتقاد أهل السنة والجماعة: يعتقد أهل السنة أنه لا يوجد نبي توسل بحق أهل البيت في الدعاء، بل والأنبياء كلهم أفضل من أهل بيت النبي ﷺ ما عدا النبي ﷺ نفسه، فإنه أفضل الأنبياء.

إنما منهج الرسل في الدعاء مبني على الإخلاص لله وحده، والدعاء بما شرع لا بما ابتدع القبورية.

الأدلة النقلية:

الدليل الأول: آدم عليه السلام، قال تعالى: **﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة ٣٧]**

قال الطبري: والذي يدل عليه كتابُ الله، أن الكلمات التي تلقاهنّ آدمُ من ربه، هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصِّلا بقيلها إلى ربه، معترفًا بذنبه، وهو قوله:"ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين".

قال ابن كثير: وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ قَالَ: الْكَلِمَاتُ: اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ، اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي

[1] بحار الأنوار 26/320

فَارْحَمْنِي، إِنَّكَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرحيم".

الدليل الثاني: نوح عليه السلام، قال تعالى: **﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح ٢٦]**

وقوله تعالى: **﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح ٢٨]**

وقوله تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [هود ٤٧]**

فهذا دعاء نوح عليه السلام ليس فيه ما اخترعه هؤلاء، وهو دعاء مبني على التوحيد الخالص.

الدليل الثالث: إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام، قال تعالى: **﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء ٧٨-٨٢]**

وقوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ﴾ [البقرة ١٢٦]**

وقوله تعالى: **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة ١٢٧]**

بل إن بعثة النبي ﷺ من بركة دعاء الله وحده تصديقا لقوله تعالى عن دعاء إبراهيم وإسماعيل: **﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ**

ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة ١٢٩]

وقوله تعالى: **﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَـٰعِيلَ وَإِسۡحَـٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم ٣٨-٤٠]**

الدليل الرابع: موسى عليه السلام، قال تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص ١٦]**

وقوله تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾﴾ [طه ٢٥-٣٥]**

فقد دعا الله وتوسل بأسمائه وصفاته وليس بحق أهل البيت!

الدليل الخامس: أيوب عليه السلام ، قال تعالى: **﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّـٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء ٨٣]**

وقوله تعالى: **﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَـٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص ٤١]**

وأيوب عليه السلام من أكثر الأنبياء صبرا، ولما كان في شدة واضطرار أخلص الدعاء لله وحده، فأين تلك الروايات الخرافية المخترعة من أدعية الأنبياء في كتاب الله!

الدليل السادس: يونس عليه السلام، قال تعالى: **﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء ٨٧]**

الدليل السابع: داود عليه السلام، ﴿قال تعالى: وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩﴾ [ص ٢٤]

الدليل الثامن: سليمان عليه السلام ، قال تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص ٣٥]**

الدليل التاسع: زكريا عليه السلام، قال تعالى: **﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران ٣٨]**

وقوله تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ [آل عمران ٤١]**

وقوله تعالى: **الدليل العاشر: عيسى عليه السلام** ، قال تعالى: **﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة ١١٤]**

الدليل الحادي عشر: محمد ﷺ، قال تعالى: **﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ [الإسراء ٨٠]**

والآن حان وقت ذكر دعاء الصالحين من غير الأنبياء في كتاب الله.

الدليل الثاني عشر: قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة ٢٥٠]**

وقال التائبون من السحر أمام فرعون ما في قوله تعالى: **﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ [الأعراف ١٢٦]**

وقوله تعالى: **﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم ١١]**

وقوله تعالى: **﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران ٣٥-٣٦]**

وقد أعاذها الله وابنها من الشيطان الرجيم كما جاء في الحديث، وهذا من بركة إخلاص الدعاء لله وحده.

وقوله تعالى عن دعاء مريم الصديقة: **﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مريم ١٨]**

وقوله تعالى: **﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة ٢٨٥]**

وغير ذلك ما امتلأ به كتاب الله عن أدعية الصالحين في كل زمان ومكان ليس فيها تلك الخرافات التي ملأت كتب الشيعة.

الأدلية العقلية والواقعية:

الدليل الأول: لو كان خير الأدعية هو الدعاء بحق أهل البيت، لذكره الله تعالى في كتابه خاصة وكتاب الله ممتلئ بالأدعية التي كانت سبباً في النجاة والنعيم.

الدليل الثاني، سؤال: لماذا لا يتبع القبورية سنن الأنبياء في الدعاء، وتركوها لأجل روايات لا علم لهم بمن نقلها؟ ولعل هذا لأن شيوخهم أبعدوهم عن القرآن.

(طلب): نطالب الشيعة بترك الروايات المخترعة التي تناقض كتاب الله.

الاستنتاجات:

الأول: الأنبياء أطبقوا على دعاء الله وحده بدون وسائط.

الثاني: مناهج القبورية مناقضة لمنهج الأنبياء.

* * *

إبطال إثباتهم دعاء الأولياء بالقياس بالاستعانة بالصبر والصلاة وببركة قميص يوسف عليه السلام

القبورية أشد الناس طرحا للأقيسة الغريبة العجيبة، ومن هذا قولهم أن الأولياء أكرم عند الله من الصبر والصلاة ومن قميص يوسف عليه السلام، مما يجوِّز لنا الاستغاثة بهم.

اعتقاد أهل التوحيد: التوسل إلى الله يكون بما شرع، وليس بالأقيسة الفاسدة.

ثم فساد هذا القياس من الواضحات، فليس منا من يستغيث بالصبر ولا بالصلاة، ولا من القبورية من يفعل هذا أيضاً، وليس منهم من استغاث بقميص يوسف عليه السلام.

وأما الاستعانة بالصبر والصلاة فيراد بها أن الله جعلهم من الأسباب المؤدية للخير وللثبات، فهي استعانة مقيدة، أما الاستعانة بالله فمطلقة.

بل ويجوز الاستعانة بغير الله فيما يقدر عليه بما دل عليه شرع أو تجربة معتبرة، مع التيقن أن غير الله ليس سببا تاما في وجود المراد.

لذلك يجوز الاستعانة بالطبيب، مع عدم الظن أنه السبب الوحيد في الشفاء. بل وأن فعله ليس سببا مؤثرا حتى يهيء الله تعالى المحل القابل للتأثر.

الأدلة النقلية والعقلية والواقعية:

الدليل الأول: قوله تعالى: **﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [يوسف ٩٣]**

وهذا النص من أكثر النصوص الدالة على قولنا فإن القرآن أشرف من قميص يوسف عليه السلام، ومع هذا لا يضع الناس المصاحف على أعين الأعمى ليرتد إليه بصره.

وأيضاً: يعقوب عليه السلام أشرف من قميص يوسف عليه السلام، ومع هذا لم يقدر على أن يشفي بصره، فتبين فساد قياس هؤلاء القبورية من كل وجه.

بل نلزمهم فنقول: أخبرونا هل قميص يوسف عليه السلام أكرم عند الله من يعقوب عليه السلام حتى يشفى بسبب القميص ولا يشفى بسبب نفسه؟

إلزام آخر: لماذا لا يستغيث الشيعة بقميص يوسف عليه السلام ، فإن النص أثبت أن قميصه كان سبباً في الشفاء، ولم يثبت أن التوسل بالأولياء يسبب الشفاء، فتركتم ما ذكره القرآن إلى ما اخترعته مروياتكم؟

وهذا مثل حلف الشيعة بغير الله، ويقيسون أقيستهم الفاسدة بأن الله تعالى اقسم بالشمس وضحاها، **فنقول لهم**: إن صح قياسكم، فلماذا لا تجيزون القسم بالشمس وضحاها إذن؟

وأما سبب شفاء يعقوب عليه السلام بعدما رأى قميص يوسف عليه السلام ، ليس أن القميص كالدواء، فلم نعلم من استعمل هذا القميص

في علاج المرضى لا قبل الواقعة ولا بعدها، إنما الشفاء حدث بزوال سبب المرض، وزوال سبب المرض بعدما تيقن يعقوب عليه السلام من حياة ابنه وتواصله معه عن طريق إرسال قميصه.

الدليل الثاني: لم يفهم النبي ﷺ ولا الصحابة هذا الفهم العقيم، مما يدل على فساد هذا الفهم.

الدليل الثالث: لا يوجد من يقول يا قميص يوسف أغثنا، ولا من يقول: يارب بحق قميص يوسف اشفنا.

الدليل الرابع: لو أن الاستعانة بالصبر والصلاة مثل الاستغاثة بالأولياء، فأين القبورية من الاستغاثة بالصلاة؟ ولماذا لا نجد منهم استغاثة بها ولا بغيرها من العبادات ؟

الاستنتاجات: الشيعة يحرمون القياس ثم لما يستعملوا القياس يستعملونه بطرق فاسدة ومع فسادها فهي شيطانية لغرض إباحة الشرك.

* * *

تحرير القول في نبوة الخضر عليه السلام

يظن القبورية أن الخضر عليه السلام ولي، وليس من الأنبياء، لذلك زعم بعضهم أن الولاية أعظم من النبوة، لأن الخضر علِم ما لم يعلمه موسى عليه السلام.

وذكروا خرافات كثيرة متعلقة بالخضر مثل أنه حي لم يمت للآن.

اعتقاد أهل التوحيد: يعتقد أهل السنة والجماعة أن الخضر عليه السلام نبي من أنبياء الله، وليس في غير الأنبياء من هو أفضل من الأنبياء، بل ونعتقد أن موسى عليه السلام أفضل من الخضر عليه السلام يقيناً، ولكن الخضر علم ما لم يعلمه موسى كما علم موسى ما لم يعلمه الخضر عليهما السلام، وهكذا قال الخضر نفسه كما في صحيح البخاري قال: « إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ »[1] ، ونعتقد بأن الخضر عليه السلام قد مات.

الأدلة النقلية:

الدليل الأول: قوله تعالى: **﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [الكهف ٨٢]**

(1) صحيح البخاري122

فقوله: "وما فعلته عن أمري" دال على أنه يوحى إليه. مأمور من الله تعالى ، مما يدل على نبوته.

الدليل الثاني: قوله تعالى: **﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الأعراف ١٤٤]**

فإن النبوة والرسالة اصطفاء وهي المقام الأعظم.

الدليل الثالث: قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب ٧]**

فثبت بهذا النص أفضلية الخمسة على كل البشر، وهم أولي العزم من الرسل.

الأدلة العقلية والواقعية:

الدليل الأول: ليس للمخالف دليل واحد على أن الخضر عليه السلام ولي وليس نبيا.

الدليل الثاني: لم يذكر النص أفضلية الخضر على موسى عليه السلام في كل شيء، بل ثبت له أنه أعلم منه ببعض الأمور فقط.

الاستنتاجات:

الأول: الخضر عليه السلام نبي.

الثاني: موسى عليه السلام أفضل من الخضر عليه السلام.

* * *

إبطال قول القبورية أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع اعتقاد الاستقلال في المعبود

يرى القبورية أن العبادة لا تكون عبادة حتى يظن العابد في المعبود أنه مستقل بالفعل عن الله، بمعنى أن الصنم على سبيل المثال: يشفي ويعطي بدون إذن الله.

اعتقاد أهل التوحيد: نعتقد أن العبادة لغير الله هي صرف ما لا يجوز صرفه إلا لله من صلاة وصيام وحج ودعاء، فمن قال أنا أصلي لفلان، قد أشرك ولو لم يعتقد فيه الاستقلال.

وكذلك من الشرك الاعتقاد أن هناك من يفعل ما لا يقدر على فعله إلا الله، مثل القول بأن هناك خالق للسماوات والأرض غير الله.

الأدلة النقلية:

الدليل الأول: قوله تعالى: **﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة ٣١]**

فقد جعلهم عابدين للأحبار والرهبان، مع أن النصارى ليس من اعتقادهم استقلال الأحبار والرهبان بالخلق ولا بأفعالهم.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه كما روى ابن كثير: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ. فَقَالَ: "بَلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ".

وفي مصادر الشيعة عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَال أَمَا وَ اللَّهِ مَا دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ دَعَوْهُمْ مَا أَجَابُوهُمْ وَ لَكِنْ أَحَلُّوا لَهُمْ حَرَاماً وَ حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ حَلَالًا فَعَبَدُوهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.[1]

الدليل الثاني: قوله تعالى: **﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المائدة ١١٦]**

ومن المعلوم من اعتقاد النصارى عدم اعتقادهم استقلال السيدة مريم في أفعالها عن الله تعالى، لكن جاء النص أنهم اتخذوها إلهه مع الله، وهذا لأنهم صرفوا إليها الدعاء والرجاء وغير ذلك من الأفعال التي يقع في نظيرها القبورية.

وأقوى أدلة هذا الباب يأتي في **الدليل الثالث:** قوله تعالى: **﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [التوبة ٦٥]**

وقوله تعالى: **﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [العنكبوت ٦١]**

وقوله تعالى: **﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [العنكبوت ٦٣]**

[1] تفسير اهل البيت عليهم السلام ج6، ص116 - الكافى، ج1، ص53/ المحاسن، ج1، ص246/ نور الثقلين/ بحار الأنوار، ج2، ص98/ الكافى، ج2، ص398/ وسايل الشيعة27، ص124/ البرهان

وقوله تعالى: ﴿**قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢**﴾ **[المؤمنون ٨٤-٩٢]**

وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي تدل على أن كفار قريش صرحوا بشكل واضح **أن الله تعالى هو خالق كل شيء**، حتى أن إبليس نفسه أقر بذلك كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ**﴾ **[ص ٧٦]**

وكان يقول الكفار في الحج قبل الإسلام: لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكا هو لك ملكته وما ملك.

فقد أقروا أن الملك لله تعالى وحده، وأن هذه الأصنام إنما هي معبودة تُعبد من دون الله رغم أن الكفار ليس من اعتقادهم أن هذه الأصنام مستقلة بذاتها عن الله، كما دلت النصوص القرآنية السابقة.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ**﴾ **[الزمر ٣]**

وقوله تعالى: **﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس ١٨]**

فقد كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله، فكيف يظنوا فيها الاستقلال عنه!

ويؤكد ذلك المعنى، **الدليل الخامس:** قوله تعالى: **﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل ١٧]**

فقد ألزمهم بمذهبهم أنهم يقرون أن أصنامهم لا تخلق، بل الله تعالى من يخلق.

وهؤلاء خير حال من بعض الشيعة ممن زعم أن عليا خلق السماوات والأرض، والعياذ بالله.

لكن القصد هنا هو بيان أن العبادة لا تستلزم أن يكون العابد يظن في المعبود استقلاله عن الله تعالى.

الدليل السادس: قوله تعالى: **﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة ١٦٥]**

فمن الشرك محبة غير الله مثل الله تعالى، ولو لم يعتقد فيه أنه معبود أصلا فضلا عن أن يعتقد فيه الاستقلال.

وأيضاً: هذا النص يدل على أن كفار قريش كانوا يحبون الله بالفعل، لذا قال تعالى: يحبونهم كحب الله، فأثبت لهم محبتهم لله.

والنكتة أننا ابتلينا في هذا الزمان ببعض القبورية يحبون أولياءهم ليس فقط كحب الله، بل أكثر من محبتهم له بكثير.

الأدلة العقلية والواقعية:

الدليل الأول (إلزام) : أغلب الشيعة يكفر ذاك المنافق اليوتيوبر الشيعي الذي يدعي أن عليا خالق الكون، فلماذا اتهموه بالشرك مع أنه يرى أن عليا فعل هذا بإذن الله؟

الدليل الثاني (إلزام) : الشيعة والغالب في المتصوفة القبورية أنهم معطلة، ومن ذلك قول الشيعة أن معصومهم قال بأن مشيئة الله مخلوقة، بمعنى أن قولهم بإذن الله، معناه: بمخلوق الله، فإن المشيئة عندهم ليست صفة من صفات الله، بل هي مخلوق من مخلوقاته.

و رد أحد الشيعة على هذا الإلزام بعد طرحه عليه فقال: " لا تناقشني في التوحيد لأني لم أدرسه! " .

الدليل الثالث (إلزام) : يعتقد الشيعة استقلالية بعض الخلق عن الله تعالى، من هذا قولهم أن أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى، وقد روي عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه سُئل عن أفعال العباد: هل هي مخلوقة؟

فقال عليه السلام: لوكان خالقاً لها لما تبرأ منها وقد قال سبحانه وتعالى: إن الله بريء من المشركين ورسوله، ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم، وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم" [1]

---

[1] (شرح اعتقادات الصدوق) للمفيد، الملحق بكتاب (أوائل المقالات) ص187،188.

وقد كتب الحر العاملي بابا سماه: (إن الله سبحانه خالق كل شيء إلا أفعال العباد)[1]

ولذا فإن الشيعة قدرية وهم مجوس الأمة لأن المجوس قالوا إله خير وإله شر، وهؤلاء قالوا: خالق للخير وخالق للشر.

والقصد هنا أن أفعال الأئمة عندهم بل وكل البشر أفعالهم عندهم ليست من خلق الله بل يفعلونها استقلالاً عنه.

الدليل الرابع: اتفق أهل الإسلام على أن من قال: سأصلي وأذبح للأولياء، وأصرف طاعة الصيام والحج لهم بدلا من الله، كان مشركا ولو لم يقر لهم بالألوهية فضلا عن الاستقلال في فعل الخلق وغيره.

الاستنتاجات

الأول: أن القبورية لا عرفوا معنى الشرك ولا معنى التوحيد.

الثاني: أن الوحي بين لنا سبل أصول الشرك كلها حتى لا يغرق الإنسان في وحلها، وهذا من هداية الوحي.

* * *

تصحيح اعتقادات الإمامية ـ المفيد ـ الصفحة 44

[1] الفصول المهمة في أصول الأئمة 1/255

إبطال زعمهم أن التجربة دلت على أن الأولياء لهم نفع وضر بإذن الله بعد موتهم

يزعم القبورية أن من أقوى أدلتهم على أن الولي يشفي ويعين ويعطي، هو أنهم فعلوا هذا كثيرا واستجيب لهم، فدعوهم فاستجابوا لهم.

يذكر القبورية هذا الدليل كثيرا خاصة بين العوام، وهو أكثر دليل يثبتهم على ما هم عليه من فساد المعتقد، وبالجملة فإن هذا الدليل هو الذي يثبت أهل الشرك والكفر على ضلالهم قديما وحديثا.

اعتقاد أهل التوحيد: الله تعالى لا يجيب دعاء أحدهم إلا إن دعاه مخلصا له الدين، لكنه قد يعطي السائل الذي يسأل أهل القبور مسألته، ويكون من تحقيق مسألته وقوع الشر له، كمن دعا القبور أن يتزوج فلانه، ثم يحقق مسألته ويجعلها شرا له.

ونرى أن هذا يقع إضلالا لمن يعبد غير الله بسبب تركهم لعقولهم وتركهم للوحي الإلهي، قال تعالى: ﴿**يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ**﴾ **[البقرة ٢٦]**

ونعتقد أن هذا الدليل نفسه يدل على فساد هذه العقائد الشركية كلها.

الأدلة النقلية والعقلية و الواقعية:

الدليل الأول: قوله تعالى: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف ١٩٤]**

هذا النص يبرز أن العلة من عدم جواز دعاء غير الله، أنهم عباد لله تعالى، مما يعني عدم جواز دعاء غيره.

وأيضاً فيه تحدي لهؤلاء أن يدعوهم دائما فيجيبوهم.

فلو قيل: لكن وهل يستجاب دعاؤنا لله دائما حتى نلزم المشرك بأن يجيبه معبوده دائماً؟

والرد على هذا الطرح من عدة **أوجه**:

الأول: طريق معرفة إجابة الله للدعاء لا تتوقف على التجربة، فمادام الله تعالى يتصف بصفات الكمال التي دل عليها العقل كالسمع والبصر والقدرة فإنه يجيب العباد المخلصين حتما، وقد جاء الوحي مصدقا لهذا المعنى العقلي كما في قوله تعالى: **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة ١٨٦]**

الثاني: إن هؤلاء إنما أثبتوا أن معبوداتهم تستحق الدعاء بناء على التجربة، فوجب تحقق التجربة دائما أو غالباً ، والواقع يثبت عكس هذا.

الدليل الثاني: يدعي كل مشرك أن من يدعوه يستجيب له، فتجد الهندوسي يزعم أن معبوده يجيب الدعاء، ويحكوا قصصهم لبعضهم بخصوص هذا، وكذلك يقع الأمر بين اليهود والنصارى بل وبين

المذاهب المختلفة في الدين الواحد، كما هو الحال بين فرق الشيعة أو بين الصوفية والرافضة، رغم أن كل فرقة تكفر أختها وتكفر بعض أولياء الفرقة الأخرى.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قد رد على هذه الشبهة بتفصيل مرتين فيما رأيت، مرة في كتاب (الجواب الصحيح) في رده على النصارى، والأخرى في (مجموع الفتاوى) في مواضع متفرقة في رده على القبورية عامة والصوفية خاصة، فكل منهم رغم تباين العقائد والأولياء بل والدين، تجده يحتج بنفس الحجة!

ومن أقوى المعارضات أن **نقول لهؤلاء**: إن النصارى كانوا يرسمون الصليب ويستغيثون ويتبركون به، قبل انتصاراتهم على المسلمين في الأزمنة المختلفة، ولم يدل هذا على صحة معتقدهم ولا دعاؤهم عندكم.

وكذلك الأمر يقال للنصارى في هزائمهم ضد أهل الإسلام بل وضد أهل الأوثان ممن كانوا يستغيثون بالأصنام.

وليس عند هؤلاء حجة ترد على المخالف إلا وسترد عليهم، فإن **قال القبوري للنصراني**: أنت تتوهم فقط أن معبوداتك تجيب الدعاء، رد النصراني **وقال**: وأنت أيضاً تتوهم ذلك.

فلو **قال القبوري**: بل قد جربت أن أطلب منهم مطالبي وتحققت.

قال النصراني: وقد جربنا هذا كذلك.

بل يرد القبوري الصوفي على نظيره الشيعي بنفس الرد، ومن قرأ كتب كرامات الأولياء عند الصوفية رأى فيها العجائب، ثم يجد نظيرها عند

الشيعة بل ونظيرها وأكثر منها عند النصارى. وكل منهم يكفر ويضلل الآخر وكل فرقة تلعن أختها.

ولو **قال القبوري للنصراني**: لكن من تعبدهم من دون الله إنما هم عباد أمثالنا يأكلون ويشربون، رد النصراني بالمثل على القبوري.

وهكذا كل ضال يلزم نظيره في الضلال، وهذا لأنهم فهموا هذا على غير الوجه الصحيح. والصواب أن تحقق مسألة من عشرة مسائل لا يعني أن هذا المقبور استجاب لهم، ولا أن التوسل بحقه ينفع، بل يدل على أن الله يمد هذا المشرك في طغيانه بعد أن ترك أدلة الهدى.

وهؤلاء مغيبون ويقنعون أنفسهم بأن أدعيتهم كلها مجابة، وهذا غير صحيح وليس واقعياً، وحسبك أن الرافضة يدعون بخروج المهدي من ألف ومائتين سنة ولا إجابة.

الدليل الثالث: لو أن تحقق الدعاء دال على أن هذه المعبودات تنفع وتضر، فعدم تحقق الدعاء يدل على خلاف ذلك.

وبعض هؤلاء يفسر ذلك بقوله: لا يجاب الدعاء لحكمة يعلمها الولي!

وهذا القول يبرز لنا أنهم **يتعاملون مع أوليائهم معاملتهم مع الإله تماما لا فرق.**

الرد الرابع: عباد البشر والحجر كلهم يحتجون بهذه الحجة، وتفسيرهم لتحقق بعض ما يطلبوه، يستلزم تصحيح عقائد من خالفهم في المعتقد لأنه كما يتحقق لهم يتحقق لمن خالفهم.

وأما نحن أهل التوحيد فتفسيرنا له مختلف، فنحن نرى أن تلك الإجابة غير متحققة، وأن تحقق الدعاء أحيانا لا يستلزم أن المقبور هو من حققه، بل الله تعالى من يسر وقوعه إما ليمدهم في طغيانهم، أو ليري كل فرقة أن هذا متحقق عند من خالفهم في الاعتقاد. فيحقق مطلوب النصراني ليتدبر الرافضي، والعكس صحيح.

والقصد هنا أن تفسير أهل السنة إن كان صحيحاً بطل مذهب القبورية، ولو كان تفسيرهم هو الصحيح، بطل تكفيرهم وتضليلهم للفرق الأخرى، بل وللأديان الأخرى، **فيبطل مذهبهم كذلك!**

الرد الخامس: مظاهر العجز في أهل القبور أعظم من أن يظن عاقل أنهم هم من حققوا الدعاء.

الاستنتاجات:

الأول: أن مذاهب الشرك تحتج بما فيه إبطال مذهبهم.

الثاني: أن التمسك بالوحي يعين على فهم الواقع بشكل مستقيم ولا يجعل الإنسان يتناقض.

* * *

عجائب في تبرير القبورية لأفعالهم

من أكثر ما يبرز غلط المنهج والمعتقد، هو ضعف الاستدلالات التي اعتمد عليها أهل هذا المعتقد، فما بالك إن كانت الحجة نفسها من أعجب العجائب، ولولا أن هذه الحجج التي سأذكرها قالها القبورية، ورصدنا احتجاجهم بها بالفعل، لما خطر ببالنا أنهم احتجوا بها.

ومن ذلك قول القبورية: إن إبليس لما رفض السجود لغير الله ، عاقبه الله تعالى، وإبليس أول من رفض السجود لغير الله.

ثم **قالوا**: لذلك نحن ندعو غير الله مع الله، لأن الله أمرنا باتخاذهم وسيلة، ولا نفعل كما فعل إبليس ونرفض الاستغاثة إلا بالله. انتهى.

والرد على هذا بأن يقال:

إن إبليس لم يرفض السجود لأجل أنه يرفض السجود لغير الله، بل سبب رفضه أنه يرى أنه أفضل من آدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿**قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦**﴾ **[ص ٧٥-٧٦]**

والعجيب أن سبب رفض إبليس للسجود لآدم، يعرفه كل أهل الأرض ، حتى اليهود والنصارى! ولكن ليبرر القبوري تعلقه المفرط بالقبور وما تحويه من عظام، قرر عكس الدين ومدح الشيطان بأنه يغار على التوحيد ، وفقط أخطأ في التصرف!

والصحيح أن إبليس: ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾ **[البقرة ٣٤]**

وأيضاً: الله تعالى أمر بالوسيلة، والوسيلة هي كل عبادة تقربنا إلى الله ، ودعاء غير الله شرك، وليس عبادة.

وليست هذه أول حجة عجيبة احتجوا بها، وقد سبق وتكلمنا عن احتجاجهم بالتجربة، وبينت ما في حجتهم من تناقض، وأن كل قبوري في مشارق الأرض ومغاربها يحتج بنفس التجربة، ولا يمكن تفسير تجربتهم إلا بتفسير أهل السنة لها وإلا للزم صحة كل المذاهب المتناقضة!

ومن عجائب ما احتجوا به أن **قالوا:** هؤلاء لهم كرامة عند الله فلذلك لا يخيب من استغاث بهم.

والرد: إن القرآن هو كلام الله وهو أكرم من كل الخلق لأنه كلامه، ومع هذا لم نعهد أن هناك من استغاث به، وقال مدد يا قرآن، أغيثيني يا سورة الفلق.

وكذلك نعلم أن الأنبياء لهم كرامة عند الله، ومع هذا لم يستغِث بهم من كان مع رسول الله ﷺ طيلة عمره.

ونحن لا ننكر كرامة هؤلاء ، لكن الكرامة الخارقة للعادة خلاف الأصل ، فالأصل أنها ممنوعة عن الولي حتى يتبين العكس.

وإلا لادعى كل أحد أي شيء.

ولقال قائل: إن عيسى عليه السلام شق البحر كموسى، لأنه كريم عند الله.

وموسى لم تحرقه النار كإبراهيم، وهكذا!

ولو قلنا أن الأصل هو وقوع الكرامة، لثبت لكل نبي ما يثبت للآخر.

وهذا لم يدل عليه الوحي والإجماع ، بل الوحي واتفاق الفرق على خلافه، وقد قال تعالى: ﴿**تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ**﴾ **[البقرة ٢٥٣]**

فثبت بهذا أن الأصل منع الكرامة الخارقة للعادة حتى يتبين العكس.

وقدرة الميت على الإعانة هو فعل خارق للعادة، فإن الحي يعجز على أن يعين القبوري على بعض ما يطلبه، فكيف بالميت!

فالأصل أنه لا يعينه حتى يتبين العكس، ولا يتبين ذلك إلا بوحي. والوحي دل على خلاف ذلك كما سبق التفصيل فيه.

فتبين أن شبهتهم مردودة من الجهتين، **الأولى**: أن ثبوت الكرامة لا يثبت وقوع كل الكرامات للولي، **الثاني** أن الولي ولو كان كريما عند الله، فالأصل عدم ثبوت الكرامة الخارقة بحقه حتى يتبين العكس.

ومما احتجوا به من الغرائب أن قالوا: قد رأينا في المنام أن الولي يأمرنا بالذهاب لقبره للاستغاثة به.

والرد: هؤلاء يخالفون التوحيد ويؤصلون للشرك بناء على منامات! وقد رأى النصارى أمثالها، وأكثر منها، ومع هذا لا يصح دينهم.

وأيضاً: لعل هذا الذي في المنام من مردة الشياطين. بل هو كذلك.

ومما احتجوا به أن قالوا: كما نحتاج لشفاعة النبي ﷺ في الآخرة ، فنحتاجها أيضا في الدنيا.

الرد: الشفاعة ثبتت بالنص وهي ليست في كل شيء ، بل في أشياء محددة مثل الدعاء لأمته، ومنه ما يستجاب ومنه ما يُمنع لقوله (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) وكذلك يشفع في تعجيل الحساب وليست الشفاعة في كل شيء.

والمشروع في الدنيا أن تدعو الله أن يشفع فيك نبيه ﷺ، وليس أن تطلبها من النبي ﷺ مباشرة.

والناس تطلب من النبي ﷺ الشفاعة في الآخرة بسبب شدة الخوف من الله، لذا يرفض أغلب الأنبياء الشفاعة من شدة الخشية كما ثبت في حديث الشفاعة المشهور. ولا يقبلها إلا هو، لأن الله تعالى أخبره بأنها توكل إليه.

ثم إنه حينها يكون مع الأحياء بالروح والجسد.

ومن الغرائب أن بعض القبورية يقول: نحن لا نقصد من الاستغاثة بالرسول طلب العون منه، بل نقصد طلب العون من الله بجاه الرسول ﷺ وأهل بيته.

الرد: هذا التحريف قد اعتادوا عليه فقد حرفوا الكتاب والسنة وكلام أهل البيت حتى حرفوا كلام أنفسهم.

فنقول لهم: هل تتكاسل أن تقول يارب أغثنا بجاه الرسول، فتقول يارسول أغثنا!! ثم لو أنك تتكاسل أن تقول الجملة قلها. فلماذا لا تقل يارب مدد، وفي نيتك يارب بجاه الرسول، بدلا من يا رسول مدد؟

وهذه الحجة تثبت كذب هؤلاء وإنما يستعمل بعضهم التقية وإخفاء المعتقد أمام الموحدين بسبب شناعة مذهبهم.

* * *

الفرق بين قبورية الشيعة والصوفية

من أهم الطرق التي تنبه بها القبوري على فساد ما يفعل من أفعال، أن تبين له بالدليل الواقعي أن أفعاله يفعلها غيره ممن يبدعهم أو يضللهم ويكفرهم.

فيبدأ ينتبه **ويتساءل** : لماذا أنا على صواب وغيري على خطأ؟

وحتى لا أطيل في مقدمة هذا المبحث ، فإن من مقصود الكتاب الاختصار مع قوة البيان. **فأقول**:

نحن نعتقد وحسب المصادر التاريخية أن الشيعة الإسماعيلية، هم من أدخل قضية الاستغاثة بأهل القبور في أمة محمد. وهم أول من تعبد لله ببناء المشاهد فيما نعرف حسب المصادر التاريخية. ونشروا ذلك في عامة البلاد خلال فترة حكم الدولة الفاطمية. وإن كان أصل الفكرة موجود قبل ذلك في الوسط الشيعي، لكن الفرقة الاسماعيلية نشرت الأمر.

ومنهم أخذت فرق الشيعة ثم من فرق الشيعة أخذت الصوفية.

ومما يثبت أن الصوفية إنما تأثروا بالشيعة، هو أنهم قلدوهم في الاستغاثة وطلب المدد من أهل للقبور المقيمين تحت التراب، فتجد الصوفي يستغيث بنفس من يستغيث بهم الشيعي. مع أن المعتقد مختلف.

فإن غلاة الصوفية هم فرقة تنسب نفسها إلى مذهب أهل السنة والجماعة. ويرون فضل أبا بكر وعمر وعثمان على علي رضي الله عنهم

جميعا ، ومع هذا فلا يستغيثون بالثلاثة، ويرون فضل أم المؤمنين عائشة على أم البنين، وتجدهم يستغيثون بأم البنين تقليدا للشيعة!

ومن مذهبهم فضل زوجات النبي ﷺ على السيدة زينب، ومع هذا أقاموا المشاهد للسيدة زينب وغالب غوثهم بها.

وهكذا تفهم أن أصل المسألة نشأت من تقليد تام للشيعة، ثم تفرع مذهب الصوفية إلى الاستغاثة بمشايخ الطرق الصوفية.

وهذا لا ينفي حقيقة أن الشيعة أيضاً مقلدة، وشيعة اليوم إنما قلدوا ما وجدوا عليه الآباء حتى في الاستغاثة. وسأذكر دليل هذا بعد أسطر.

ولأن المذهب القبوري المنتشر اليوم هو مذهب الاثنى عشرية من الشيعة، ومذهب الصوفية. فنحن نذكر أبرز ما تميزت به كل فرقة عن الأخرى من الفرقتين في هذا الباب. ثم تأخذ الأدلة المبطلة للمذهبين من ذلك.

إن الفرق القبورية كثيرة عبر كل الزمان، ودخل الفكر القبورية الذي يعلم القطيع الاستغاثة بالأولياء الموتى في كل دين.

ولكني سأكتفي بالمقارنة بين الصوفية والإثنى عشرية.

أما الصوفية فإن منهم من يحرم الاستغاثة بالأموات، وكلامنا عن الغلاة منهم ، فهؤلاء زعموا جواز التوسل بالصالحين، ثم زعموا زورا وجهلا أن التوسل هو نفسه الاستغاثة.

لكن بمن يستغيثون؟

يستغيث الصوفية بأهل البيت ولكن ليس بكل أئمة الشيعة الإثنى عشرية ، بل فقط علي وفاطمة وزينب والحسين ، ولا تجدهم يستغيثون بالمهدي وغيره ممن استغاث بهم الرافضة.

وأما أكثر استغاثة الصوفية فكانت بمشايخ **الطرق**: مثل عبد القادر الجيلاني وأحمد البدوي والشاذلي وأحمد الرفاعي وأبو مدين وشهرته الغوث وأحمد التيجاني وغيرهم.

وزعموا أن النفع بالغوث من هؤلاء من المجربات.

وكتبوا في ذلك كتبا عما سموه بكرامات الأولياء.

واختلف هؤلاء عن الشيعة أيضاً في أنهم رأوا أن العبد غير مؤثر لا بذاته ولا بغيره، وأن العبد جعله الله سببا، إلا أنه غير مؤثر. وهذا من تناقضهم.

وزعموا أن من زعم التأثير في العبد أشرك، وهذا بسبب تأثرهم بالمعتقد الأشعري.

وأما الشيعة فإنهم يرون أن الولي مؤثر بقوة مؤثرة يخلقها الله فيه.

ويستغيث الشيعة بأهل البيت، وهم مع هذا من كبار المقلدة حتى في استغاثتهم بالموتى.

فمع أن من مذهبهم أن الأنبياء أفضل من أبي الفضل العباس مثلا، تجدهم لا يستغيثون بأي نبي عدا محمد ﷺ. ويكثرون الاستغاثة بأبي الفضل.

وحتى في الاستغاثة بالأولياء هم مقلدة ، فتجده يستغيث بالسيدة زينب وأم البنين ، ولا يستغيث في الغالب بالحسن والباقر والعسكري! مع أن هؤلاء أعظم عندهم من الأنبياء ، فضلا عن فضلهم على أولائك الذين أكثروا الاستغاثة بهم.

ومما زعمته غلاة الصوفية وجود الأقطاب والأوتاد كما زعمه ابن عربي الملقب بالشيخ الأكبر عند الصوفية، في الفتوحات المكية. والقطب هو الغوث الأكبر ويتحكم بالكون، والأوتاد هم أربعة، كل منهم يتحكم في جهة من جهات الكوكب.

ونظير هذا الزعم زعم الرافضة وجود الولاية الكونية للأئمة.

وهذه المزاعم الفاسدة جعلت العامي من هؤلاء يظن أن حياته ومماته بين يدي هؤلاء.

وكنت أتكلم مع امرأة صوفية من قبل، فقلت لها إن أحمد التيجاني كان رجل سوء ، يطمع فيما عند الناس، ويزعم أن دخول الجنة بين يديه.

فقالت لي: اسكت يا أخي فإني أخشى أن يسمعنا ويؤذينا، وقالت: اخفض صوتك واتق الله.

وهكذا أتباع الخرافات يخافون المعدوم ويأمنون الله الواحد القهار.

وقال تعالى لهداية هؤلاء: **﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف ٣٧]**

ومما نستفيده من هذا:

أولا: أن المجربات ليست حجة على جواز الاستغاثة فكل فرقة تلعن أختها ومع هذا زعموا تجربة دعاء أهل البيت وزعموا إجابتهم على حد زعمهم.

ثانيا: يتبين للشيعة أن أهل التوحيد لم ينكروا على الشيعة تعلقهم بالقبور لأنهم شيعة، كما يهيء لهم أصحاب العمائم، بل أنكرنا هذا لأنه منكر ولأن الشرع أنكره، فهؤلاء الصوفية نحن من ينكر عليهم مع أنهم نسبوا أنفسهم لأهل السنة.

ثالثاً: تبين تهوين وتطبيع هذه الفرق مع ما أقروا أنه شرك، فالقبورية الرافضة يرون استحباب الاستغاثة بالصالحين، وعندهم أن الذين استغاث بهم الصوفية مثل الشاذلي والرفاعي والجيلاني ، ليسوا من الصالحين، بل من أكفر الكافرين.

لأن هؤلاء الثلاثة يرون فضل أبا بكر وعمر وعثمان على علي رضي الله عنهم جميعا.

ويرون مذهب أهل السنة ويعتمدون على كتبهم.

فلماذا لا تجد الشيعي ينكر على الصوفي استغاثته بأهل القبور ممن يكفر عند الشيعي من استغاث بهم؟

والعكس يتبين في:

رابعا: فإن الصوفية قالوا بأن من استغاث بالميت وظن فيه التأثير ولو بإذن الله ، فقد وقع في الشرك على قول، وفي الضلال على قول.

فلماذا لم ينكر الصوفية هذا على الشيعة مع أن الشيعة أطبقوا على الظن أن المقبورين يمكنهم العون بإذن الله ، بقوة مؤثرة يخلقها الله فيهم.

ومعنى إما أن كل فرقة من الفرقتين، تستهين بالشرك ولا تنكره.

أو أن تعلقهم بالقبور أعماهم عن هذه الحقيقة، التي جعلت الفريقين يهملان هذا الإنكار عبر مئات السنين!

خامساً: ما عبد غير الله إلا باتباع الخرافات، والشرع جاء لمحاربة ذلك.

* * *

هدم قواعد القبورية الشيعة بعرضها على أصولهم

قال تعالى: ﴿**وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا**﴾ **[النساء ٨٢]**

فمن أدلة فساد المذهب كثرة التناقضات، ومن أدلة فساد استغاثة الشيعة بالأموات، انها تناقض أصولهم وهذا يتبين من عدة أوجه:

الوجه الأول: من شروط قبول الرواية عندهم عرض الرواية على القرآن فإن خالفت القرآن نضرب بها عرض الحائط ، وقد تبين من كتاب الله أن الدعاء عبادة تصرف لله وحده، قال تعالى: ﴿**وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ**﴾ **[الأعراف ٢٩]**

والنصوص في هذا كثيرة قد ذكرناها من قبل.

ثانياً: على قول من يقول منهم بتحريف القرآن، فمن شكك في ثبوت القرآن عليه أن يشكك في ثبوت الروايات أيضا التي نادت بالاستغاثة بأهل القبور. لأن نقل القرآن اجتمع عليه أمم، على خلاف تلك المرويات التي لم ينقلها إلا الواحد والإثنين. والتشكيك في نقلهم أولى.

ثالثاً: أئمة الشيعة كانوا مطبقين على استعمال التقية والتي تكون بسبب الخوف، فكيف بمن يخاف أن يستغاث به.

رابعاً: زعم الشيعة غيبة المهدي بسبب الخوف من القتل، وقد نقلت في باب صادق الرواية الصحيحة وقول العالم عندهم الدال على هذا، فمن يغيب ١٢٠٠ سنة بسبب الخوف، كيف يستغاث به !

خامساً: ثبت من المرويات الكثيرة عند الشيعة أن أئمتهم كانوا مقهورين مظلومين، والمظلوم المقهور هو من لا يملك رفع الظلم عن نفسه. فكيف بمن هذا حاله أن يملك أن يرفع الظلم عنكم بعد موته؟

سادساً: واقع هؤلاء يثبت أن دعوتهم مردودة فهذا المهدي يدعون بظهوره من ١٢٠٠ سنة، وهي أطول دعوة غير مستجابة في التاريخ.

سابعاً: زعموا أن الإمام يقدر بإذن الله ، وإذن الله عندهم مخلوق، فتكون قدرة الإمام ناتجة عن مخلوق وليست عن الخالق.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة.[1]

ثامناً: توجد مرويات كثيرة تأمرهم بدعاء الله وحده، والتي أطبقوا على مخالفتها.

عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا (عليه السلام) أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (صلوات الله عليه) كَانَ يَقُولُ: "طُوبَى لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ الْعِبَادَةَ وَالدُّعَاءَ وَلَمْ يَشْغَلْ قَلْبَهُ بِمَاتَرَى عَيْنَاهُ وَلَمْ يَنْسَ ذِكْرَ اللَّهِ بِمَا تَسْمَعُ أُذُنَاهُ وَلَمْ يَحْزُنْ صَدْرَهُ بِمَا أُعْطِيَ غَيْرُهُ".[2]

وعن معصومهم السجاد أنه كان من دعائه كما في (الصّحيفة السجّادية): "أللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أصُولُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ، وَلا تَفْتِنّي بِالاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إذَا اضْطُرِرْتُ، وَلا

[1] الكافي - ج 1 - الصفحة 110
[2] الكافي: 2/16. كتاب الإيمان والكفر. باب الإخلاص. رواية رقم 3

بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَاافْتَقَرْتُ، وَلاَ بِالتَّضَرُّعِ إِلَى مَنْ دُونَكَ إِذَا رَهِبْتُ فَأَسْتَحِقَّ بِذلِكَ خِذْلانَكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ".[1]

وعن الإمام علي أنه قال: موصيا ولده الحسن كما في (نهج البلاغة): "وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّموَاتِ والأرض قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بالإجابة، أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ. (نهج البلاغة: باب المختار من كتب أمير المؤمنين (عليه السّلام) ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عمّاله ووصاياه لأهله وأصحابه: وصية [31]: ومن وصيّته (عليه السلام) للحسن بن علي (عليه السلام)، كتبها إليه بـ "حاضرين" عند انصرافه من صفّين).

وعن ابن أبي حمزة قال: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام قال لابنه: "يا بَنِيّ من أصابه منكم مصيبة أو نزلت به نازلة فليتوضّأ وليسبغ الوضوء، ثم يصلّي ركعتين أو أربع ركعات ثم يقول في آخرهنّ: "يا موضع كلّ شكوى، ويا سامع كلّ نجوى، وشاهد كل ملاء، وعالم كلّ خفية، ويا دافع ما يشاء من بلية، ويا خليل إبراهيم، ويا نجي موسى، ويا مصطفي محمد (صلى الله عليه وآله) أدعوك دعاء من اشتدّت فاقته وقلّت حيلته وضعفت قوته، دعاء الغريق الغريب المضطرّ الذي لا يجد لكشف ما هو فيه إلا أنت يا أرحم الراحمين"، فإنّه لا يدعو به أحد إلا كشف الله عنه إن شاء الله".[2]

[1] الصّحيفة: دعاء 2: دعاؤه في مكارم الأخلاق
[2] الكافي: 2/ 56. باب الدعاء للكرب والهم والحزن والخوف: رواية 15

فأين هنا الاستغاثة بغير الله عند الشدائد!

وهكذا المرويات الكثيرة التي خالفوها لأجل مرويات أخرى منحولة نسبوها زورا لأهل البيت تأمرهم بالشرك المتناقض مع هذه الروايات وبيانات الآيات.

وهذه الأدلة قد ذكرت بعضها في الأبواب المتفرقة إلا إني أردت أن أجمعها هنا لتنفع من يسعى لهدايتهم بالاستدلال بها عليهم.

* * *

كيف عالج النبي ﷺ شرك القبورية

إن القرآن الكريم عالج كل سبل الشرك، وكان للنبي ﷺ طريقة خاصة عالجت طرق الشرك، منها ما ذُكر في القرآن ومنها ما ذُكر في المرويات الصحيحة

العلاج الأول: قوله تعالى: **﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ﴾** [الأعراف ١٨٨]

العلاج الثاني: قوله تعالى: **﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾** [الجن ٢٠]

أي أنه كان يعلمهم دعاء الله وحده وعدم الإشراك به.

العلاج الثالث: عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتَكُم قبورًا، ولا تجعلوا قَبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتَكُم تبلغُني حَيثُ كنتُمْ»[1]

ومن باب أولى عدم جعل قبر غيره عيدا، كما فعل أصحاب المشاهد.

العلاج الرابع: عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ).[2]

---

[1] أخرجه أبو داود (2042) واللفظ له، وأحمد (8790)

[2] رواه مسلم (969)

والقصد أن تتساوى القبور، والحديث يُفهم منه أن من أسباب شرك كفار قريش القبور، حتى أنهم رفعوا بعضها لمن كانوا يتبركون بهم. كما يفعل قبورية اليوم، وقد كان التعظيم الزائد لبعض المقابر يؤدي إلى الشرك، لذا أمر ﷺ بهدمها.

العلاج الخامس: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت رديف رسول الله ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ يا غلام أو يا بني ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن قلت بلى فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»[1]

فقد علمه الاستغاثة بالله والتوكل عليه وحده، وهكذا لا أغثنا يا فلان ولا مدد يا علان.

العلاج السادس: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لما قال له رجلٌ : ما شاء اللهُ وشئتَ: أجعلتَني للهِ ندًّا؟ ما شاء اللهُ وحدَه»[2]

فقد جعل مقولة إن شاء الله وشئت، من جعل الند لله، فهكذا غضب رسولنا ﷺ من فعله، وعلمه وبين له ما يحفظ توحيده.

---

[1] أخرجه الترمذي (2516) مختصراً بنحوه، وأحمد (2803) باختلاف يسير

[2] أخرجه أحمد (1839)، وابن أبي شيبة (٢٦٦٩١)، (13005) واللفظ لهم جميعا

العلاج السابع: قال رسول الله ﷺ: « لَا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فإنَّما أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولوا: عبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»[1]

والإطراء هو المبالغة في المدح، وهؤلاء القبورية غارقون في مدح الرسول ﷺ بوصفه بما لا يليق إلا بالله تعالى، حتى أفضى بهم إلى الشرك.

وطرق العلاج كثيرة جدا في السنة المطهرة وأدلتها أكثر من أن تحصى، ويكفي من سعى للهداية التنبيه فكيف بكل هذه البراهين.

* * *

[1] أخرجه البخاري 3445

صور منشورات لقبورية والتعليق عليها



قبورية صوفية يطلبون المدد من أحمد البدوي المشهور بشيخ العرب



نصرانية تنسب الشفاء للسيدة مريم بعد دفنها في القبر بأكثر من ٢٠٠٠ سنة

٢٠٢٢/١٠/٢٠ ·

شيخ العرب سيدي احمد البدوي
مدد يا ملثم يا باب النبي ﷺ...
شيخ العرب سيدي احمد البدوي
مدد يا ملثم يا باب النبي ﷺ
فرح مولد السيد البدوي
مدد يا صاحب الفرح

صوفي يتكلم عن أحد الأولياء عنده الماكثين تحت القبر

اطلبو حوائجكم من صينيه زكريا المتواضعة بمناسبة يوم زكريا وليلة مولد الامام الحسين ع❤️🤲



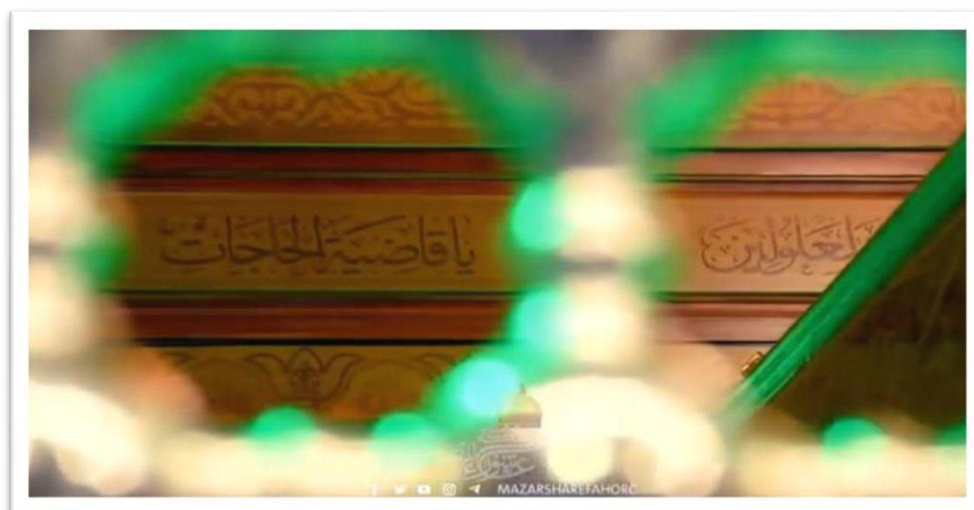




الأمر لم يتوقف عند دعاء القبور بل وصل إلى دعاء الصحون



طلبت من الله ومن شريفة، وشكرت شريفة ونسيت أن تشكر الله



{أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ} [النمل ٦٢]

اطلبو حوائجكم من فاطمة الزهراء مكضيه ان شاءالله

من تنور فاطمة الزهراء
اطلبي حاجتج
ونادي يا زهراء 4مرات
ومن تتحقق انشري المنشور وفاء
لنذر



لماذا عند الشيعة لم تنادي السيدة فاطمة نفسها أربع مرات للدفاع عن نفسها؟

"الرّأفة موجودة عند جميع الأئمّة المعصومين عليهم السّلام،
ولكن رأفة الإمام الرّضا مشهودة جدًا.."

فسلامٌ أيا علـيُّ ابن موسى *** أنتَ لـلـمستجيرِ كلُّ الأمانِ

لا تَدعوا هذهِ الأيّام الرّضويّة تمرّ من دونِ
أن تطلبوا حوائجكم من الإمام الرّضا
الرّؤوف عليهِ السّلام.

{قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ} [الزمر ٣٨]

هذه بعض منشورات القبورية من كافة مذاهبهم وكل منهم يدعي التجربة ويدعي أنه ينادي الأولياء ، والوحي الشريف يقول: **{إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ} [الأعراف ١٩٤]**

وتركوا الواحد الأحد لأجل عبادة أهل القبور وهم عباد أمثالهم قد بين الله لهم ضعفهم حتى قدر عليهم الموت والهبوط تحت القبور.

قال تعالى : **{قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ} [الأعراف ٢٩]**

خاتمة:

أختم بقوله تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾ [الجاثية ٧-٨]

وقوله تعالى: **﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان ٧]**

وقوله تعالى:

﴿هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [إبراهيم ٥٢]

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الكتاب